دخول العقيدة الأشعرية إلى المغرب

للأستاذ: عبد الله غاني

أ ـــ موقف القبول ونشر العقيدة الأشعرية

الرعيل الأول

اذا أردنا ان نترصد الجانب العقيدي بالمغرب في المرحلة الممتدة ما بين الفتح الاسلامي وقيام دولة الموحدين فاننا نجد انه بعد انقضاء فترة الصحابة والتابعين الذين قدموا الى افريقيا، والذين تميز موقفهم بما كان عليه السلف الصالح من التسليم التام بكل ما جاء به الاسلام وعدم المناقشة في أمور العقيدة، لم تلبث الأحداث السياسية والاجتماعية والفكرية النظرية التي عاشها المسلمون في المشرق أن بلغ صداها الى ربوع الشمال الافريقي.

وتحكي لنا المصادر مظاهر هذا التأثر في صورة مناظرات ومناقشات كانت تدور بين اتباع الطوائف. فمن الأمثلة على ذلك ما يحكيه صاحب «شجرة النور الزكية» وما يثبته صاحب «رياض النفوس» وغيرهما. وهكذا نجد عند ابن مخلوف في شجرة النور الزكية «ان يحيي بن سلام اتهم بالارجاء، ولكنه نفى التهمة عن نفسه اذ أتاه رجل وقال له : يا أبا زكريا انهم يقولون انك تقول بالارجاء، فضرب بيده على جدار القبلة وقال : لا، ورب هذه القبلة ما عبدت الله على شيء من الارجاء قط، وقد حدثتكم أنه بدعة». وفي رواية أخرى «أن يحيى بن سلام أخذ لحيته بيده وقال «أحرق الله هذه اللحية بالنار إن كنت دنست الله عز وجل بالارجاء». أما سبب رميه بالارجاء كما تحكي المصادر«أتاه موسى ابن معاوية فقال له يا أبا زكريا : ما أدركت يقولون في الايمان ؟ فقال له : «أدركت مالك بن أنس وسفيانا وفلانا يقولون الايمان قول وعمل وأدركت مالكا بن مغول وقطر بن خليفة وعمر بن ذر يقولون «الايمان قول» فاخبر موسى

سحنون بن سعيد (توفي 240 هـ) بما يذكر يحيى عن عمر بن ذر وقطر بن خليفة ومالك بن مغول، ولم يذكر ما قال عن غيرهم فقال سحنون هذا مرجيء وانتشر التقول عليه»[1].

كما ظهر الاعتزال وكان من القائلين به ابن صخر المعتزلي وسقيفة العراقي وقد توفي ابن صخر وكان عبد الله بن غانم الرعيني (توفي 190 هـ) والبهلول بن راشد (توفي عام 183 هـ) وابن فروخ (توفي 175 هـ) حاضرين وقت الجنازة. فقالوا لابن غانم الجنازة فقال كل حي ميت قدموا دابتي ولم يصل عليه ثم قيل لابن فروخ الجنازة فقال كل حي ميت ولم يصل عليه ثم قيل لبهلول الجنازة فقال مثل ذلك»[2] وفي ترجمة البهلول بن عمر التجيبي يروي ابو العرب التميمي أنه «ربما كان يقول بخلق القرآن، ولما مات وحملت جنازته وقل من كان معها من الناس، قال الناس : الوادي الوادي ! إي القوه في الوادي»[3]. وحين أصبح الاعتزال العقيدة الرسمية للدولة العباسية أيام المامون والمعتصم والواثق، أرغم الاغالبة ــ ولاة العباسيين على افريقيا ــ الناس على اعتناق القول بخلق القرآن والأصول الاعتزالية، وهكذا امتحن المسلمون في الشمال الافريقي كما امتحنوا في المشرق يقول الدباغ «أن أهل القيروان امتحنوا بخلق القرآن في زمن الواثق وعزم محمد ابن الاغلب على قتل أحد المخالفين فمازال أهل القيروان على اعتقاد أهل السنة»[4] ويروي أبو العرب التميمي أيضا ان سحنونا «كانت له في مقاومة بني الأغلب مواقف كثيرة»[5] كما يروي صاحب رياض النفوس قصة أسد بن الفرات مع أحد القدريين وضربه له بالنعل في المسجد لانكاره رؤية الله تعالى في الآخرة[6] كما تثبت المصادر[7] تواجد الأثر الاعتزالي بالمغرب الاقصى قبل مجيء المولى ادريس، وكذا وجود الاثر الخارجي والأ ثر الشيعي ببعض المناطق.

حقيقة ان التنافس بين المذاهب الاسلامية قد أذكى الحركة الفكرية وانبرى الفقهاء يدللون بالحجج والمنطق على صدق أحكامهم لكن منطق الكلمة والعقل ما لبث أن اختفى ليسود التعصب والبطش والارهاب والاضطهاد فالفقيه ابن الحداد ألف كتابا سماه «المقالات» سفه فيه آراء المذاهب اجمعين[8] كما أن القاضي ابن أبي الليث انتهز محنة خلق القرآن فأوقع بأصحاب مالك ومنع

فقهاءهم من الجلوس في المسجد[9]. كما منع سحنون الخوارج والمعتزلة من دخول المسجد الجامع وفرق شملهم[10].

ولكن نار هذه الفتنة سرعان ما خمدت والتزم سكان الشمال الافريقي وخصوصا المغاربة منهم بالمذهب المالكي والتزموا اقوال اتباع مالك، يقول حسين مؤنس «وأقبل أهل المغرب عليهم اقبالهم على رسل العقيدة الصحيحة والسائرين على مناهجها وأصحبت كتب مالك وتلاميذه وكتب اتباعه واتباع اتباعه من أهل المغرب هي الاسلام ولا إسلام غيرها وانزوت المذاهب الاخرى وخمل شأن اصحابها وأبغضهم الناس. فمن قيل عنه انه عراقي أو كوفي او معتزلي انصرف عنه الناس واذوه وربما قتلوه... حتى وقرفي نفوس الأفارقة ان المالكية عنصر من عناصر الكيان الشخصي لكل منهم وانتبه في نفوسهم وعي محلي يرتبط أشد الارتباط بالمالكية وأصبح المغربي المسلم الحريص على دينه وخلقه لابد أن يكون مالكيا... فكل ما سوى المذهب المالكي هو أجنبي في رأي المغاربة فالحنفية هم العراقيون خاصة اذا كانت عقيدتهم اعتزالية والشيعة هم «المشارقة» وأميرهم مشرك أمير المشركين والخوارج هم «الخوامس» اي الخارجين عن المذاهب الأربعة[11].

وقد حافظت رسالة ابن أبي زيد القيرواني لأهل المغرب والشمال الافريقي على مذهب الامام مالك الفقهي ومذهبه العقائدي طيلة قرون فقد عمت شهرتها الآفاق وتولاها كثير من العلماء بالشرح والتعليق كما أنها ظلت تدرس في جامعة القرويين وجامعة الزيتونة طيلة قرون. وتعتبر مقدمتها خلاصة لعقيدة المغاربة فقد روى ابن عساكر في «تبيين كذب المفتري» ان علي بن أحمد بن اسماعيل المعتزلي البغدادي كتب الى ابن ابي زيد القيرواني يدعوه الى اتباع آرائه. يقول ابن عساكر «ومن الشيوخ المتأخرين المشاهير ابو محمد بن أبي زيد وشهرته تغني عن ذكر فضله اجتمع فيه العقل والدين والعلم الورع، وكان يلقب بمالك الصغير وخاطبه من بغداد رجل معتزلي يرغبه في مذهب الاعتزال ويقول له إنه مذهب مالك وأصحابه فجاوبه بجواب من وقف عليه علم أنه كان نهاية في علم الاصول[12] رضي الله عنه»[13] وقد صار هذا الرد مقدمة لكتابه «االرسالة» والذي يعتبر خلاصة للعقيدة الأشعرية.

ابن أبي زيد القيرواني

أما صاحب الرسالة فهو «أبو محمد عبد الله بن أبي زيد واسم أبي زيد عبد الرحمان نفزي النسب سكن القيروان وكان إمام المالكية في وقته وقدوتهم وجامع مذهب مالك وشارح أقواله وكان واسع العلم كثير الحفظ والرواية وكتبه تشهد له بذلك، فصيح القلم ذا بيان ومعرفة بما يقوله ذابا عن مذهب مالك قائما بالحجة عليه بصيرا بالرد على أهل الأهواء. ويجمع الى ذلك صلاحا تاما وورعا وعفة وحاز رئاسة الدين والدنيا وإليه كانت الرحلة من الأقطار ونجب أصحابه وكثر الآخذون عنه وهو الذي لخص المذهب وضم نشره وذب عنه وملأت البلاد تآليفه، عارض كثير من الناس أكثرها فلم يبلغوا مداه مع فضل السبق وصعوبة المبتدأ وعرف قدره الأكابر وكان يعرف بمالك الصغير وقال فيه القابسي هو امام «موثوق به في ديانته ورواياته».

تفقه بفقهاء بلده وسمع من شيوخها وعول على أبي بكر بن اللباد وأبي الفضل القيسي وأخذ أيضا عن محمد بن مسرور الغسال وعبد الله بن مسرور بن الحجام والقطان والابياني وزياد بن موسى وسعدون الخولاني وأبي العرب وأبي احمد بن ابي سعيد وحبيب مولى بن أبي سليمان وآخرين. ورحل فحج وسمع من ابن الاعرابي وابراهيم بن محمد بن المنذر وأبي علي بن أبي هلال وأحمد بن ابراهيم بن حماد القاضي وسمع أيضا من الحسن بن بدر ومحمد بن الفتح والحسن بن نصر السوسي ودراس بن اسماعيل وعثمان بن سعيد الغرابلي وغيرهم واستجاز ابن شعبان والأبهري والمروزي وسمع منه خلق كثير.

وتفقه عنه جلة فمن أصحابه القرويين : أبو بكر بن عبد الرحمان وأبو القاسم البرادعي واللبيدي وأبناء الاجدابي وأبو عبد الله الخواص وأبو محمد مكي المقري. ومن أهل الاندلس : أبو بكر بن موهب المقبري وابن عابد، وأبو عبد الله ابن الحذاء وأبو مروان القنازعي ومن أهل سبتة أبو عبد الرحمان بن العجوز وأبو محمد بن غالب وخلف ابن ناصر ومن لا يعد كثرة. ومن أهل المغرب، أبو علي بن امدكتوا السجلماسي. له كتاب «النوادر والزيادات على المدونة» مشهور، أزيد من مائمة جزء وكتاب مختصر المدونة مشهور ايضا، وعلى كتابيه هذين المعول في الفقه وكتاب تهذيب العتبية وكتاب الاقتداء بأهل المدينة وكتاب

الذب عن مذهب مالك وكتاب الرسالة مشهور وكتاب التنبيه على القول في اولاد المرتدين «ومسألة الحبس على أولاد الاعيان» وكتاب تفسير أوقات الصلوات وكتاب الثقة بالله والتوكل على الله. وكتاب المعرفة واليقين وكتاب المضمون من الرزق وكتاب المناسك ورسالة فيمن يأخذه عند تلاوة القرآن والذكر حركة. ورسالة النهي عن الجدل ورسالة في الرد على القدرية وكتاب الاستظهار في الرد على الفكرية ورسالة في أصول التوحيد. وجملة تآليفه كلها مفيدة بديعة غزيرة العلم، وتوفي رحمه الله سنة ست وثمانين وثلاثمائة»[14].

ونثبت هنا مقاطع من مقدمة رسالته توضح لنا عقيدته التي كان يحفظها المغاربة ويتعقدونها ويتدارسونها وهي لا تخرج عن عقيدة أهل السنة والجماعة. ويقول ابن أبي زيد القيرواني «باب ما تنطق به الالسنة وتعتقده الأفئدة من واجب أمور الديانات من ذلك الايمان بالقلب والنطق باللسان ان الله واحد لا إله غيره... وهو فوق عرشه والفوقية هنا عبارة عن كون الشيء اعلى من غيره كقولنا زيد فوق السطح مجازا أو كقولنا السيد فوق عبده، ففوقية الله تعالى على عرشه فوقية معنوية بمعنى الشرف وبمعنى الحكم والملك... ومما يجب اعتقاده ان الله تعالى في كل مكان بعلمه أي علمه محيط بجميع الأمكنة وهو أقرب الى الانسان من حبل الوريد. والمراد بالقرب هنا قرب علم لا قرب مسافة فهو مثل في فرط القرب لأنه تعالى مطلع على سرائر العباد ولا يخفى عليه شيء... وقوله تعالى ﴿ على العرش استوى ﴾ من المتشابه وقد منع مالك تأويله لكن من الجائز تأويله تأويل ايضاح بمعنى أن استواءه أي أنه استولى عليه استيلاء ملك قادر قاهر... ومما يجب اعتقاده ان الله كلم موسى بكلامه القديم الذي هو صفة ذاته وأن كلامه ليس بصوت ولا حرف، يسمع من كل جهة بكل جارحة وأن القرآن كلام الله القائم بذاته... ومما يجب اعتقاده ان الله سبحانه يبعث من في القبور. يعدم الذوات بالكلية ثم يعيدها وأنه قد خلق الجنة فاعدها دار خلود لأوليائه والمراد بهم المؤمنين وليس المراد بهم من فيه صفة زائدة على الايمان وأنه يجيء يوم القيامة والملك صفاصفا وكان مالك يقول في هذه الآية وأمثالها : اقرأوها كما جاءت بلا كيف لأن اسناد المجيء اليه مصروف عن ظاهره اجماعا اذ يستحيل عليه الجهات والأمكنة والتحول والانتقال... ومما يجب اعتقاده ان الله سبحانه وتعالى أكرم المؤمنين في الجنة بالنظر الى وجهه الكريم والمراد بالوجه عند جمهور

السنة وعند مالك الذات وليس المراد بالنظر ميل الحدقة الى المرئي لأن هذا محال في حقه تعالى. وانما المراد صفه تقوم بالموصوف توجب له كونه رائيا من غير تكييف ولا تشبيه.. ومما يجب اعتقاده نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وأن الله تعالى جعله آخر المرسلين .. ومما يجب اعتقاده الايمان بوجود حوض رسول الله صلى الله عليه وسلم ترده أمته لايظمأ من ورد منه أبدا ويذاد عنه من بدل بالارتداد وغير في العقائد كأهل الأهواء أو مرتكبي المعاصي لكن المبدل بالارتداد يخلد في النار والمبدل بالمعاصي في مشيئة الله تعالى حتى يمضي فيه مراده... ومما يجب اعتقاده أن الايمان قول باللسان واخلاص بالقلب وعمل بالجوارح... ومما يجب اعتقاده ان أفضل هذه الامة صحابة رسول الله وان أفضل الصحابة الخلفاء الأربعة الراشدون : أفضلهم أبو بكر يليه عمر ثم عثمان ثم علي... وترك المراء والجدال في الدين واجب والمراء هو جحد الحق بعد ظهوره ودفعه بالباطل والجدال هو مناظرة أهل البدع وانما منع المؤمنون من ذلك لأنه يؤدي الى ايقاع الشبهة. قال مالك رضي الله عنه : إن هذا الجدال ليس من الدين في شيء. وان كان المقصود من الجدال إظهار الحق دون التعنت والعناد والاظهار على الخصم ونسبة شرف العلم لنفسه فذاك جائز، وقيل مندوب اليه»[15].

ملاحظة جوهرية يمكن ان تسترعي دارس المقدمة العقيدية للرسالة وهي تتعلق بأن ابن أبي زيد يتفق مع ما ذهب اليه أصحاب الحديث والمعتزلة والشيعة والخوارج من أن الايمان عقد وقول وعمل أي انه تصديق بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح ايضا وأنه يخالف قول الأشعري. وهذا أدى ببعض مؤرخي العقائد والفرق الاسلامية الى اعتبار ابن ابي زيد القيرواني من مدرسة الحديث ولم يعدوه أشعريا ولكن هذا الرأي فيه شطط ومبالغة واغفال للتطور الفكري والعقائدي الذي شهدته تلك الفترة التاريخية. فقد حدث تقارب بين مالكي القيروان ثم الغرب الاسلامي عامة فيما بعد وبين الأشعرية وهذا ما جعل فقهاء وعلماء الاندلس الذين كانوا يتوجهون الى القيروان ليدرسوا بها يتلقون العلم على تلاميذ مباشرين لابن أبي زيد القيرواني وفي القرن الرابع بالذات حدث التقارب المشار اليه. فالمعروف عن القيرواني كراهيته للكلام والجدال في الدين اقتداء بالامام مالك إلا أنه عاد الى التسامح في الأخذ بعلم الكلام لهدف الدفاع

عن العقيدة ضد خصومها وتبنى المذهب الاشعري الى حد ان ابن عساكر مؤرخ الأشعرية ينسب اليه اقوالا فيها اشادة بأبي الحسن الأشعري ويعتبره من شيوخ المذهب الأشعري حيث يقول عنه «من الشيوخ المتأخرين المشاهير»[16] ومما يقوي هذا التأكيد الجازم باعتناقه للصيغة الأشعرية لمذهب السنة أنه حسب ما يرويه «الدباغ» تخلى عن الكثير من الآراء التي كان يؤمن بها والتي لا تنسجم وما يقول به الأشاعرة[17]. وهكذا فان تطابق معتقده في المسائل كلها، خلا مسألة الايمان، مع عقيدة الأشاعرة يجعله في صف الأشاعرة.

اذا انتقلنا الى عصر المرابطين تطالعنا ثلاث شخصيات أشعرية المعتقد مالكية المذهب وهم ابو عمران الفاسي، والقاضي ابو بكر بن العربي المعافري والقاضي عياض وقد أدى كل واحد منهم مهمته في تدعيم عقيدة المغاربة الأشعرية وتجذير المذهب المالكي بالمغرب.

أبو عمران الفاسي

أما أول هؤلاء وهو أبو عمران الفاسي فقد كان من وراء تأسيس دولة المرابطين كما أشرنا سابقا فكانت في بدايتها أشعرية العقيدة مالكية الفقه. وأبو عمران هذا كما يترجم له ابن فرحون هو «موسى أبو عمران بن عيسى بن أبي حجاج الغفجومي وغفجوم فخذ من زناته قلت غفجوم بالغين المعجمة والفاء المفتوحة والجيم المضمومة قبيلة من البربر أصله من فاس وبيته منها بيت مشهور معروف يعرفون ببني حجاج وله عقب وفيهم نباهة الى الآن. استوطن القيروان وحصلت له بها رياسة العلم وتفقه بأبي الحسن القابسي ورحل الى قرطبة فتفقه بها عند الأصيلي وسمع من أبي عثمان وعبد الوارث وأحمد بن قاسم وغيرهم. ورحل الى المشرق وحج ودخل العراق فسمع من أبي الفتح بن أبي الفوارس وأبي الحسن المستملي ودرس الأصول على القاضي أبي بكر الباقلاني ولقي جماعة وسمع من أبي ذر ثم ترك أن يسميه لما جرى بينهما فكان يقول فيما سمع منه حدثني الشيخ أبو عيسى وكان يكني بذلك. قال حاتم بن محمد كان أبو عمران من أحفظ الناس وأعلمهم جمع المذهب حفظ المالكي الى حديث النبي صلى الله عليه وسلم ومعرفة معانيه وكان يقرأ القرآن بالسبع ويجوده مع معرفته بالرجال وجرحهم وتعديلهم. أخذ عنه الناس من أقطار الأندلس واستجازه من لم يلقه وله كتاب التعاليق على المدونة كتاب جليل لم يكمل وغير ذلك وخرج من

عوالي حديثه نحو مائة ورقة. قال حاتم و لم الق أحدا أوسع علما منه ولا أكثر رواية وذكر أن الباقلاني كان يعجبه حفظه ويقول له لو اجتمعت في مدرستي انت وعبد الوهاب وكان اذ ذاك بالموصل لاجتمع علم مالك انت تحفظه وهو ينظره. وتوفي أبو عمران سنة ثلاثين وأربعمائة وهو ابن خمس وستين سنة»[18].

أما عن علاقة ابي عمران الفاسي بادخال معتقد الأشعرية الى المغرب فان المؤرخين والباحثين يرصدون ذلك من خلال لقاء يحيى بن ابراهيم الجدلي به وقد أشرنا الى هذا اللقاء سابقا[19] ونزيد المسألة هنا تفصيلا ذلك ان يحيى بن ابراهيم في طريق عودته من الديار المقدسة الى بلاده صنهاجة مر بالقيروان وحضر دروس الشيخ أبي عمران الفاسي وتأثر بها، كما أن أبا عمران أعجب بيحيى بن ابراهيم ولاحظ حرصه على تعلم امور الدين فسأله عن اسمه ونسبه وبلده فاخبره بكل ذلك وأعلمه بسعة بلاده وما فيها من كثرة الخلق فسأله ابو عمران : وما ينتحلون من المذاهب[20] فاجابه يحيى : «مالنا علم من العلوم ولا مذهب من المذاهب لأننا في الصحراء منقطعون لا يصل الينا الا بعض التجار الجهال حرفتهم الاشتغال بالبيع والشراء ولا علم عندهم»[21] لهذا السبب طلب يحيى بن ابراهيم الجدالي من أبي عمران الفاسي ان ينتدب له من بين تلاميذه من يصلح لتعليم قوم يحيى تعاليم الاسلام وشرائعه لأنه لا يوجد بأرضه من يقرأ القرآن فضلا عن العلم[22] حيث قال : «فعسى يا سيدنا أن تنظر من يتوجه معي الى بلادنا ليعلمنا ديننا[23]، وهكذا بعد إحجام تلاميذ أبي عمران الفاسي عن هذه المهمة وتخوفهم من هذا السفر الشاق البعيد، ومن الانقطاع في الصحاري[24] قال الشيخ ابو عمران ليحيى بن ابراهيم : إني أعرف ببلاد نفيس[25] من أرض المصامدة فقيها حاذقا تقيا ورعا لقيني هنا وأخذ عني علما كثيرا وعرفت ذلك منه واسمه واجاج بن زلو اللمطي من أهل السوس الأقصى وهو الآن يتعبد ويدرس العلم ويدعو الناس الى الخير في رباط هنالك وله تلاميذ جمة يقرأون عليه العلم. اكتب اليه كتابا لينظر في تلاميذه من يبعثه معك فسر إليه فعنده تجدما تريد»[26].

ملاحظات أساسية لابد من الاشارة اليها والوقوف من خلالها وقفة تأمل واستنطاق لهذا النص : حيث يتبين لنا أن ابا عمران الفاسي كان يكون أفواجا من الدعاة الى العقيدة السنية وحين يطمئن الى حسن تكوينهم وتشربهم للعقيدة

الأشعرية وللمذهب المالكي وتفهمهم للقصد الذي يرمي اليه أبو عمران من وراء هذا التكوين يبعثهم كدعاة عبر ارجاء الشمال الافريقي نستشف ذلك من خلال الحوار الذي دار بين ابي عمران ويحيى بن ابراهيم فقد قال له «إني أعرف ببلد نفيس من أرض المصامدة فقيها حاذقا ورعا اخذ عني علما كثيرا» كما ان هذا المرشد يظل على اتصال مستمر بالدعاة الذين يكونهم وبسير وتطور دعوتهم يؤكد لنا ذلك قول ابي عمران الفاسي ليحيى بن ابراهيم في هذا الحوار : «وهو الآن».

كما أن هناك ملاحظة ثالثة وهي أن أبا عمران كان يدرب هؤلاء الدعاة على أسلوب الدعوة ومنهجية العمل والتي لمح اليها من خلال وصفه لحال تلميذه الداعية واجاج بن زلو اللمطي «وهو الآن يتعبد ويدرس العلم ويدعو الناس الى الخير» اذن العبادة وتدريس العلم واستقطاب الناس لتكوينهم نفس التكوين هي بنود ومقومات التكوين العمراني. وحتى يطمئن ابو عمران الى سلامة هذا التكوين ويوفر له الحفاظ على طابعه الذي أراده له فانه كان يحث الدعاة المتخرجين على يديه على ان يقوموا بدعوتهم انطلاقا من رباط وأن يمارسوا دعوتهم وتكوينهم للناس داخل هذا الرباط «ويدعو الناس الى الخير داخل رباط»[27]. ويؤكد لنا هذه الحقيقة الاسلوب الذي انتهجه عبد الله بن ياسين وهو الشخص الذي انتدبه واجاج بن زلو اللمطي، باعتباره قد نضج وبلغ المستوى المطلوب الذي يشترطه أبو عمران الفاسي في الداعية ذلك المستوى من النضج الذي استشعره واجاج تلميذ أبي عمران متوفرا في عبد الله بن ياسين.

ويتأكد لنا ما تقدم من خلال نص الرسالة التي بعثها أبو عمران الفاسي مع يحيى بن ابراهيم الجدالي الى تلميذه واجاج والتي يذكره فيها بشروط الداعية حيث حيث يقول له فيها «اما بعد اذا وصلك حامل كتابي هذا وهو يحيى بن ابراهيم الجدالي فابعث معه الى بلاده من طلبتك من تثق بدينه وورعه أو كثرة علمه وسياسته ليعلمهم القرآن وشرائع الاسلام ويفقههم في دينهم». تستلفت انتباهنا في هذا النص لفظة رنانة لها نغمة خاصة تنم عن الستراتيجية العمرانية والمخطط الذي كان يرسمه أبو عمران الفاسي وهي شرط أساسي يشترطه أبو عمران في الداعية، فحين تتوفر فيه باقي الشروط الأخرى من تقوى وعبادة وغزارة علم يطلعه على الهدف البعيد ويرسله بعد ذلك في الآفاق ليكون عناصر مثله الى

آن يصادف عمله هذا داعية يخرج مخططه الى حيز التنفيذ والتطبيق هذا الشرط هو حسن سياسة الداعية.

ولعله من الفهم التبسيطي للنصوص ان نحمل لفظ «سياسته» أو «حسن سياسته» على اللباقة أو المرونة او المداراة كصفة أو صفات متقاربة لابد أن تتوفر في كل داعية ناجح لأن هذا التأويل يبدو تشويها للنص وللمرامي التي يطمح اليها صاحبه وهي القيام بحركة سنية في الشمال الافريقي تتمكن من تطويق ثم القضاء على دولة بني عبيد الشيعية كما ألمحنا الى ذلك سابقا.

وقد وجد ضالته هذه المرة في شخص عبد الله بن ياسين الذي لم يتتلمذ على أبي عمران الفاسي مباشرة وإنما تخرج على يد واجاج بن زلو اللمطي تلميذ ابي عمران الفاسي وهكذا توجه عبد الله بن ياسين مع يحيى بن ابراهيم الجدالي الى بلاد المصامدة وشرع في خطة العمل المرسومة والتي تتلخص في بناء رباط[28] واستقطاب من يناصر هذه الدعوة التي كانت في نظر بعض المؤرخين سببا في الاعتناق الصحيح للاسلام من طرف سكان هذه المنطقة ذلك أن اسلام الفتح الاول السريع سرعان ما تلاشت آثاره نتيجة نقص الاحتكاك بالشمال حتى إن عبد الله بن ياسين حين وصل بلاد المصامدة «وجد أكثرهم لا يصلون ولا يزكون وليس عندهم من الاسلام الا الشهادة»[29].

ولعل هذه الأرضية لعبت دورها الخطير في نجاح دعوة عبد الله بن ياسين ذلك أنه حين كثر الوافدون على رباطه أخذ يقرئهم القرآن ويستميلهم الى الآخرة ويرغبهم في ثواب الله تعالى ويحذرهم اليم عذابه حتى تمكن حبه منهم في قلوبهم فلم تمر عليه أيام حتى اجتمع اليه ألف رجل من أشراف صنهاج[30] فسماهم المرابطين للزومهم رابطته وأخذ هو يعلمهم الكتاب والسنة والوضوء والصلاة والزكاة وما فرض الله عليهم من ذلك فلما تفقهوا في ذلك وكثروا قام فيهم خطيبا فوعظهم وشوقهم الى الجنة وخوفهم من النار وأمرهم بتقوى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ثم دعاهم الى جهاد من خالفهم من قبائل صنهاجة[31].

وهكذا انطلقت دعوة المرابطين لتأسيس دولة سنية كان مؤسسها في

الحقيقة[32] هو عبد الله بن ياسين لأنه هو الذي كان يأمر وينهى ويعطي ويأخذ، ذلك أنه حين توفي يحيى بن ابراهيم الجدالي الذي كان لا يتحرك الا بأمر عبد الله بن ياسين عين يحيا بن عمر كقائد على الجيش والذي كان بدوره كثير الطاعة لعبد الله بن ياسين هاته الطاعة التي يصور المؤرخون بعض مظاهرها من خلال هذه اللوحة التي يرسمها ابن أبي زرع «وكان يحيى (بن عمر بن تكلالين) شديد الانقياد لعبد الله بن ياسين كثير الطاعة له فيما يأمره به وينهاه عنه فمن حسن طاعته له أنه قال له يوما ـــ وجب عليك أدب ـــ قال فيم يا سيدي ؟ قال له لا أعرفك حتى آخذه منك فكشف له عن بشرته فضربه عشرين سوطا ثم قال له إنما ضربتك لأنك باشرت القتال واصطليت الحرب بنفسك وذلك خطأ منك فان الأمير لا يقاتل وانما يقف ويحرض الناس ويقوي نفوسهم فان حياة الامير حياة عسكره وموته فناء جيوشه»[33].

كما أنه بعد وفاة يحيى بن عمر عين عبد الله بن ياسين عوضا منه أخاه أبا بكر بن عمر وقلده أمر الحرب وهكذا سار الركب المرابطي يكتسح الافاق حيث تمكن عبد الله بن ياسين من القضاء على آخر معاقل الشيعة بالمغرب ببلد تارودانت[34] ثم توغل شمالا ليكتسح الأراضي المغربية ويطهرها مما فيها من المعتقدات المخالفة لعقيدة أهل السنة والجماعة فقاتل مجوس برغواطة الذين كانوا يدينون بدين وضعه لهم صالح بن طريف اليهودي[35] سنة 125 هـ ببلاد تامسنا فجاهد عبد الله بن ياسين والأمير أبو بكر بن عمر الذي عينه عبد الله على قيادة الجيش كما تقدم ذكره الى أن استشهد عبد الله بن ياسين[36] وذلك سنة 451 هـ وبويع أبو بكر بن عمر خلفا لبعد الله بن ياسين فجمع له بذلك بين قيادة الجيش وبين السلطة الروحية فاصبح هو صاحب الأمر والنهي بلا منازع واستمر في مناجزة البرغواطيين حتى استأصل شأفتهم وبدد من لم يجدد اسلامه وهكذا لم يبق لديانتهم الخسيسة أثر الى اليوم[37].

«وقد أراد أبو بكر بن عمر غزو الصحراء بعد قتاله مع صاحب قلعة بني حماد فاستعمل على المغرب ابن عمه يوسف بن تاشفين وفتح بابا من جهاد السودان فاستولى على تسعين رحلة من بلادهم وأقام يوسف بن تاشفين بأطراف المغرب. ودوخ أقطار المغرب. ثم رجع أبو بكر الى المغرب فوجد يوسف بن

تاشفين قد استبد عليه»[38] فتنازل له عن ملك المرابطين الشاسع الأطراف مرغما حين شعر برجحان كفة يوسف وقوة سلطانه. ويوسف هذا هو مؤشر قمة الحكم المرابطي الذي امتد شمالا الى ما بين مدينة افراغة شرق بلاد الأندلس الى لشبونة غربها وجنوبا الى آخر السوس الأقصى الى جبل الذهب من بلاد السودان.

وهكذا جمعت دولة المرابطين بين العدوتين الاندلس والمغرب. وكان لذلك انعكاسات كبيرة من الناحية الفقهية والعقائدية فقد انتشر المذهب المالكي وكتب له الظهور على غيره من المذاهب يصف لنا عبد الواحد المراكشي هذه الظاهرة قائلا «ولم يكن يقرب من أمير المسلمين ويحظى عنده الا من علم علم الفروع أعني فروع مذهب مالك فنفقت في ذلك الزمان كتب المذهب وعمل بمقتضاها ونبذ ما سواها وكثر ذلك حتى نسي النظر في كتاب الله وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم. فلم يكن أحد من مشاهير أهل ذلك الزمان يعتني بهما كل الاعتناء ودان أهل ذلك الزمان بتكفير كل من ظهر منه الخوض في علوم الكلام، وقرر الفقهاء عند أمير المسلمين تقبيح علم الكلام وكراهة السلف له وهجرهم من ظهر عليه شيء منه وانه بدعة في الدين وربما أدى أكثره الى اختلال في العقائد... في أشباه لهذه الأقوال حتى استحكم في نفسه بغض علم الكلام وأهله فكان يكتب عنه في كل وقت الى البلاد بالتشديد في نبذ الخوض في شيء منه وتوعد من وجد عنده شيء من كتبه»[39].

هذه الصورة التي قدمها لنا صاحب المعجب وصور لنا فيها اهتمام المرابطين بعلم فروع الفقه يؤديها ما نجده في ثنايا كتب الطبقات حين الحديث عن تراجم الفقهاء فمثلا يروي الخشني هذه الواقعة في كتابه طبقات علماء افريقيا وهي قصة ذات دلالة كبيرة على ما وصل اليه ازدهار الدراسات الفقهية في هذا العهد عهد المرابطين مع إهمال شبه تام لعلوم الحديث وللسنة فقد روى ان مغربيا جمعه الطريق بالحجاز برجل بغدادي وكان اذ ذاك يرى رأي مالك فقال البغدادي روي عن النبي صلى الله عليه وسلم كذا. فقال له المغربي «فيما أذكر مالك ما يرى ذلك فقال العراقي «شاهت وجوهكم يا أهل المغرب تعارضون قول النبي بقول مالك»[40].

لكن من المسؤول في الحقيقة عن هاته السياسة الدينية والثقافية التي سار عليها المغرب هل هم المرابطون أم أنهم فقهاء الأندلس ؟ لعل السبب في ذلك هو حداثة اسلام المرابطين وجهلهم بقواعد هذا الدين وبروحه، بالاضافة الى جهلهم باللغة العربية لغة القرآن الكريم وبالاضافة ايضا الى أن المغرب على عهدهم لم يعرف بعد تكتلات ولا تحزبات بين العلماء على شاكلة ما وقع بالاندلس وهكذا كان أمراء المسلمين من المرابطين يعتبرون أنفسهم جنودا في خدمة الاسلام تاركين للعلماء مهمة تحديد ماهية الاسلام وهذا هو السبب الذي اضطرهم الى أن يحيطوا أنفسهم بسياج من الفقهاء، لكن هؤلاء استغلوا السلطة التي تركت لهم ليضيقوا مجال الفكر والاجتهاد على أي عالم تحدوه فكرة الاعتراض.

وهكذا كانت السمة الغالبة في عهد المرابطين هي التشدد والتزمت من أجل المصلحة الخاصة على حساب سماحة الدين ويسره وتفتحه. وثمة سمة أخرى تميز عقيدة المغاربة في عهد المرابطين وهي نتيجة حتمية لسابقتها ونلمسها في النقد الذي وجهه ابن تومرت اليهم وخلاصته ان المرابطين كانوا مجسمة مشبهة وقد سماهم «حشوية الفروع» وإن كان ابن تومرت «لا يفصل القول حين يصف المرابطين بالمجسمين والمشبهة في ماهية هذا التجسيم وهذا التشبيه إلا أننا نستنتج من اتجاهه الى تأويل الآيات المتشابهة في القرآن تأويلا عقليا ينم عن منحى معتزلي انه لم يتجه هذا الاتجاه إلا لأن المرابطين كانوا ينحون في تفسيرها منحى تجسيميا على نحو ما كانت تفعل الحشوية والكرامية مثلا وعلى نحو ما ذهب كذلك السلفية المحدثة على يد ابن تيمية»[41].

لكن اذا كان ما قيل حقا من ان السمة الغالبة للفكر الاسلامي في عهد المرابطين هي الجمود الذي تولد عن حصر اهتمامهم في تدارس الخلافيات وانصرافهم الى فروع الفقه وبعدهم عن أصوله مما استحقوا بسببه نقد الامام الغزالي اياهم[42] فان واجب الانصاف يقتضي من الباحث ان يظهر أن هذا الجمود لم يكن تاما وذلك لأن دولة المرابطين قد اتسعت رقعتها الجغرافية حتى شملت بلاد الاندلس كما أوضحنا سابقا. وقد أدى اختلاط المرابطين بعرب الأندلس الى أن برز من بين المرابطين الى جانب طائفة الفقهاء بعض العلماء الذين تمتعوا بسعة أفق فجمعوا الى جانب الفقه علوم العقائد وما سماه الغزالي

علوم الآخرة والذين نلمح في كتاباتهم آن الاسلام كان شيئا وقر في قلوبهم حقا وانهم كانوا يريدون بعلمهم وجه الله والنصح للمسلمين لامتاع الدنيا وزخرفها، وعلى رأس قائمة هؤلاء العلماء يقف القاضي ابن العربي المعافري.

أبو بكر بن العربي

يعد من العلماء الذين قال عنهم الغزالي انهم كانوا يقصدون بعلمهم وجه الله لا وجه الدنيا، وتعد جهوده من أجل الدفاع عن العقيدة الصحيحة وفي الرد على أفكار الخوارج والشيعة وغيرهم ودحض التهم التي وجهها هؤلاء الى الصحابة رضوان الله عليهم أو الى بعضهم جهادا في سبيل تركيز العقيدة الأشعرية في المغرب وهو «محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد المعروف بابن العربي المعافري من أهل اشبيلية يكنى أبا بكر، الامام العلامة الحافظ المتبحر، ختام علماء الأندلس وآخر أئمتها وحفاظها وأبوه أبو محمد من فقهاء بلدة اشبيلية ورؤسائها سمع ببلده من أبي عبد الله بن منظور وأبي محمد بن خزرج وبقرطبة من أبي عبد الله محمد بن عتاب وأبي مروان بن سراج، وحصلت له عند العبادية أصحاب الشبيلية رئاسة ومكانة فلما انقضت دولتهم خرج الى الحج مع ابنه القاضي أبي بكر يوم الأحد مستهل ربيع الأول سنة خمس وثمانين واربعمائة وسن القاضي ابي بكر اذ ذاك نحو سبعة عشر عاما وكان القاضي قد تأدب ببلده وقرأ القراءات فلقي بمصر أبا الحسن الخلعي وأبا الحسن بن شرف ومهديا الوراق وأبا الحسن داود الفارسي ولقي بالشام ابا نصر المقدسي وأبا سعيد الزنجاني وأبا حامد الغزالي وأبا سعيد الرهاوي وأبا القاسم بن أبي الحسن القدسي والامام أبا بكر الطرطوشي وأبا محمد هبة الله بن احمد الاكفاني وأبا الفضل بن الفرات الدمشقي، ودخل بغداد وسمع بها من أبي الحسن المبارك بن عبد الجبار الصيرفي المعروف بابن الطيوري ومن أبي الحسن علي بن أيوب البزازي (بزايين معجمتين) ومن أبي بكر بن طرخان ومن النقيب الشريف ابي الفوارس طراد بن محمد الزينبي وجعفر بن أحمد السراج وأبي الحسن بن عبد القادر وأبي زكريا.التبريزي وأبي المعالي ثابت بن بندار الحمامي بتخفيف الميم في آخرين وحج في موسم سنة تسع وثمانين وسمع بمكة من أبي علي الحسين بن علي الطبري وغيره ثم عاد الى بغداد ثانية وصحب أبا بكر الشاشي وأبا حامد الطوسي وأبا بكر الطرطوشي

وغيرهم من العلماء والأدباء فدرس عندهم الفقه والأصول وقيد الحديث واتسع في الرواية واتقن مسائل الخلاف والأصول والكلام على أئمة هذا الشأن من هؤلاء وغيرهم ثم صدر عن بغداد الى الاندلس فأقام بالاسكندرية عند أبي بكر الطرطوشي فمات أبوه بها أول سنة ثلاث وتسعين ثم انصرف هو الى الاندلس سنة خمس وتسعين وقدم بلده اشبيلية بعلم كثير لم يأت به أحد قبله ممكن كانت له رحلة الى المشرق وكان من أهل التفنن في العلوم والاستبحار فيها والجمع لها متقدما في المعارف كلها متكلما في أنواعها نافذا في جميعها حريصا على ادائها ونشرها ثاقب الذهن في تمييز الصواب منها ويجمع إلى ذلك كله آداب الأخلاق مع حسن المعاشرة وكثرة الاحتمال وكرم النفس وحسن العهد وثبات الود فسكن بلده وشوور فيه وسمع ودرس الفقه والأصول وجلس للوعظ والتفسير ورحل اليه للسماع وصنف في غير فن تصانيف مليحة كثيرة حسنة مفيدة منها أحكام القرآن كتاب حسن وكتاب المسالك في شرح موطأ مالك وكتاب القبس على موطأ مالك بن أنس وعارضة الاحوذي على كتاب الترمذي والعواصم من القواصم والمحصول في أصول الفقه وسراج المريدين وسراج المهتدين، وكتاب المتوسط وكتاب المتكلمين وله تآليف في حديث أم زرع وكتاب الناسخ والمنسوخ وتخليص التلخيص وكتاب القانون في تفسير القرآن العزيز وله غير ذلك من التآليف وقال في كتاب القبس إنه ألف كتابه انوار الفجر في تفسير القرآن في عشرين سنة ثمانين الف ورقة وتفرقت بأيدي الناس يقول ابن فرحون واخبرني الشيخ صالح أبو الربيع سليمان بن عبد الرحمان البورغواطي في سنة احدى وستين وسبعمائة بالمدينة النبوية قال اخبرني الشيخ الصالح يوسف الحزام المغربي بالأسكندرية في سنة ستين وسبعمائة قال رأيت تاليف القاضي ابي بكر بن العربي في تفسير القرآن المسمى أنوار الفجر كاملا في خزانة السلطان الملك العادل امير المسلمين أبي عنان فارس بن السلطان امير المسلمين أبي الحسن علي بن السلطان أمير المسلمين أبي سعيد عثمان بن يوسف بن عبد الحق وكان السلطان ابو عنان اذ ذاك بمدينة مراكش وكانت له خزانة كتب يحملها معه في الأسفار وكنت أخدمه مع جماعة في حزم الكتب ورفعها فعددت اسفار هذا الكتاب فبلغت عدتها ثمانين مجلدا ولم ينقص من الكتاب المذكور شيء. قال أبو الربيع وهذا المخبر يعني يوسف ثقة صدوق رجل صالح كان يأكل من كده.. قال

القاضي عياض واستقضى ببلده فنفع الله به أهلها لصرامته وشدته ونفوذ احكامه وكانت له في الظالمين سورة مرهوبة وتؤثر عنه في قضائه أحكام غريبة ثم صرف من القضاء واقبل على نشر العلم وبثه وذكر أنه ولي قضاء حلب وكان رحمه الله تعالى فصيحا أديبا شاعرا كثير الخبر مليح المجلس وممن أخذ عنه في اجتيازه لسبتة القاضي أبو الفضل عياض ولقيه ايضا باشبيلية وبقرطبة فناوله وكتب عنه واستفاد منه.

وتوفي رحمه الله تعالى في ربيع الاول سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة منصرفة من مراكش وحمل ميتا الى مدينة فاس ودفن بها بباب الجيسة والصحيح خارج باب المحروق من فاس ومولده ليلة الخميس لثمان بقين من شعبان سنة ثمان وستين وأربعمائة»[43].

ولنترك الآن القاضي ابن العربي المعافري يحدثنا عن نفسه حيث يقول بأنه أخذ عن عالم المدينة أبي الحسن بن علي بن محمد بن ثابت الحداد الخولاني المقرىء «فكنت أحضر عليه كتابه المسمى بالاشارة وشرحها وغيرهما من تآليفه وكان ذلك بالمهدية شهور سنة 485 هـ [44] وفي المهدية ايضا أخذ عن الامام أبي عبد الله محمد بن علي المازري التميمي (453 هـ ــ 536 هـ)[45]. وفي بيت المقدس لقي أبا بكر الطرطوشي[46] ويحكي ابن العربي قائلا : تذاكرت بالمسجد الأقصى مع شيخنا أبي بكر الفهري الطرطوشي»[47].

وفي بغداد كان يتردد الى مجالس العلم العامة التي تعقد في دار وزير الخليفة عميد الدولة أبي منصور محمد بن فخر الدولة محمد بن محمد بن جهير المتوفى سنة 493 هـ. قال ابن العربي «كنت بمجلس الوزير فقرأ القاريء ﴿ تحيتهم يوم يلقونه سلام ﴾[48] وكنت في الصف الثاني من الحلقة بظهر أبي الوفاء بن عقيل امام الحنابلة بمدينة السلام (431 هـ ــ 513 هـ) وكان مع إمامته في مذهب الامام أحمد معتزلي الأصول وقد تأثر بالاعتزال من شيخيه أبي علي محمد بن احمد بن الوليد الكرفي وأبي القاسم بن التبان ولكن شيوخه من أئمة الحنابلة استتابوه بعد ذلك وصرفوه عن كثير مما تأثر به. قال ابن العربي «فلما سمعت الآية قلت لصاحب لي كان يجلس على يساري : هذه الآية دليل على رؤية الله في الآخرة فان العرب لا تقول «لقيت فلانا» الا اذا رأته فصرف أبو الوفاء وجهه

مسرعا إلينا وقال ينتصر لمذهب الاعتزال في أن الله لا يرى في الآخرة فقد قال الله تعالى ﴿ فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه ﴾[49] وعندك أن المنافقين لا يرون الله تعالى في الآخرة قال ابن العربي : وقد شرحنا وجه الآية في كتاب المشكلين.[50]

وقد لقي القاضي ابن العربي الامام الغزالي كما أشار الى ذلك ابن فرحون ويحكي لنا القاضي ابن العربي هذا اللقاء فيما نقله عنه صاحب نفح الطيب حين قال «وقال (يعني ابن العربي) في قانون التأويل :«ورد علينا دانشمند (اي الحكيم العلامة) يعني الغزالي ــ فنزل برباط أبي سعد بازاء المدرسة النظامية معرضا عن الدنيا مقبلا على الله تعالى فمشينا اليه وعرضنا امنيتنا عليه وقلت له: انت ضالتنا التي كنا ننشد وإمامنا الذي به نسترشد فلقينا لقاء المعرفة وشاهدنا منه ما كان فوق الصفة وتحققنا أن الذي نقل الينا من أن الخبر عن الغائب فوق المشاهدة ليس على العموم»[51].

ويحدثنا القاضي ابن العربي في موضع آخر عن لقاء آخر يقول القاضي فيما نقله عنه صاحب شذرات الذهب في اخبار من ذهب قال : «وذكر الشيخ علاء الدين علي بن الصيرفي في كتابه زاد السالكين : أن القاضي أبا بكر بن العربي قال : رأيت الغزالي في البرية وبيده عكازة وعليه مرقعة وعلى عاتقه ركوة، وقد كنت رأيته في بغداد يحضر درسه أربعمائة عمامة من أكابر الناس وأفاضلهم يأخذون عنه العلم فدنوت منه فسلمت عليه وقلت له : يا إمام أليس تدريس العلم ببغداد خيرا من هذا ؟ فنظر الى شزرا وقال : لما طلع بدر السعادة في فلك الارادة (أوقال في سماء الارادة) وجنحت شمس الوصول في مغارب الاصول :

تركت هوى ليلى وسعدى بمنزل	وعدت الى تصحيح أول منزل
ونادت بي الأشواق مهلا فهذه	منازل من تهوى رويدك فانزل
غزلت لهم غزلا دقيقا فلم أجد	لغزلي نساجا فكسرت مغزلي[52]

ونترك ابن العربي يحدثنا عن حجه وكان ذلك في موسم سنة 489 هـ يقول : «كنت بمكة مقيما في ذي الحجة سنة 489 هـ وكنت أشرب من ماء

زمزم كثيرا، وكلما شربته نويت به العلم والايمان ففتح الله لي ببركته في المقدار الذي يسره لي من العلم ونسيت أن أشربه للعمل وياليتني شربته لهما حتى يفتح الله لي فيهما، ولم يقدر فكان صغوي للعلم أكثر منه للعمل، وأسأل الله تعالى الحفظ والتوفيق برحمته[53].

ولما وصل ابن العربي الى وطنه اشبيلية استقبله العلماء والأدباء وعامة الناس استقبالا لا نظير له وقصده طلاب العلم من كل حدب وصوب وتحول منزله الى جامعة وعقدت له حلقات الدرس في الجوامع وكان ممن أخذ عنه وتلقى عليه طائفة من كبار علماء الاسلام منهم القاضي عياض والامام عبد الرحمان بن عبد الله السهيلي (581 هـ) ونثبت هنا ما يرويه ابن فرحون عن الامام السهيلي لايضاح التزامه بالعقيدة الأشعرية وايضاح دوره كحلقة في سلسلة السند الذي نفذت عبره الأشعرية الى المغرب يقول صاحب الديباج المذهب : «قال الامام السهيلي اخبرنا أبو بكر بن العربي في مشيخته عن أبي المعالي أنه سأله في مجلسه رجل من العوام فقال أيها الفقيه الامام : أريد أن تذكر لي دليلا شرعيا على أن الله تعالى : يوصف بالجهة ولا يحد بها ؟ فقال نعم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا تفضلوني على يونس بن متى»[54] فقال الرجل : اني.لا أعرف وجه الدليل من هذا الدليل ؟ وقال كل من حضر المجلس مثل قول الرجل. فقال أبو المعالي : نعم إن الله تعالى أسرى بعبده الى فوق سبع سماوات حتى سمع صرير الاقلام، والتقم يونس الحوت فهوى به الى جهة التحت من الظلمات ما شاء الله. فلم يكن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في علو مكانه بأقرب الى الله تعالى من يونس، في بعد مكانه. فالله تعالى لا يتقرب اليه بالأجرام وإنما يتقرب اليه بصالح الأعمال.»[55]

وهكذا عمل القاضي أبو بكر بن العربي طيلة أربعين سنة في التدريس وتركيز العقيدة الأشعرية والفقه المالكي ومما يؤكد ذلك ان العقيدة النظامية التي الفها الامام الجويني وكانت من بين المتون التي تدرس في علم العقائد سمعها ودرسها ابن العربي عن الامام الغزالي الذي أخذنا بدوره عن واضعها الجويني وهكذا دخلت إلى المغرب على يد الامام أبي بكر بن العربي وكانت تدرس به.

ونورد هنا بعض النصوص التي تؤكد أشعرية ابن العربي ودفاعه عن

عقيدة أهل السنة والجماعة ضد المواقف الكلامية الاخرى المنافية لها :

ـ قاصمة التحكيم : وقد تحكم الناس في التحكيم فقالوا فيه مالا يرضاه الله. وإذا لحظتموه بعين المروءة ـ دون الديانة ـ رأيتم أنها سخافة حمل على سطرها في الكتب في الأكثر عدم الدين وفي الأقل جهل متين. والذي يصح من ذلك ما روى الائمة كخليفة ابن خياط[56] والدارقطني[57] أنه لما خرجت الطائفة العراقية في مائة الف والشامية في سبعين أو تسعين الفا ونزلوا على الفرات بصفين اقتتلوا في أول يوم ـ وهو الثلاثاء ـ على الماء فغلب أهل العراق عليه[58] ثم التقوا يوم الأربعاء لسبع خلون من صفر سنة سبع وثلاثين ويوم الخميس ويوم الجمعة وليلة السبت. ورفعت المصاحف من أهل الشام ودعوا الى الصلح وتفرقوا على أن تجعل كل طائفة أمرها الى رجل حتى يكون الرجلان يحكمان بين الدعويين بالحق، فكان من جهة على أبو موسى[59] ومن جهة معاوية عمرو بن العاص. وكان ابو موسى رجلا تقيا ثقفا فقيها عالما حسبما بيناه في كتاب (سراج المريدين) أرسله النبي صلى الله عليه وسلم الى اليمين مع معاذ بن جبل وقدمه عمر وأثنى عليه بالفهم. وزعمت الطائفة التاريخية الركيكة أنه كان أبله ضعيف الرأي مخدوعا في القول وان ابن العاص كان ذا دهاء وأرب حتى ضربت الأمثال بدهائه تأكيدا لما أرادت من الفساد. اتبع في ذلك بعض الجهال بعضا وصنفوا فيه حكايات وغيره من الصحابة كان أحذق منه وأدهى وإنما بنوا ذلك على أن عمرو لما غدر أبا موسى في قصة التحكيم صار له الذكر في الدهاء والمكر وقالوا انهما لما اجتمعا بأذرج من دومة الجندل[60]، وتفاوضا، اتفقا على أن يخلعا الرجلين فقال عمرو لأبي موسى : اسبق بالقول فتقدم فقال : إني نظرت فخلعت عليا عن الامر وينظر المسلمون لأنفسهم كما خلعت سيفي هذا من عنقي ـ أو من عاتقي ـ وأخرجه من عنقه فوضعه في الارض وقام عمرو فوضع سيفه في الأرض وقال : إني نظرت فأثبت معاوية في الامر كما أثبت سيفي هذا في عاتقي وتقلده. فانكر أبو موسى فقال عمرو : كذلك اتفقنا وتفرق الجمع على ذلك من الاختلاف. عاصمة : قال القاضي أبو بكر رضي الله عنه : هذا كله كذب صراح ما جرى منه حرف قط، وإنما هو شيء أخبر عنه المبتدعة ووضعته التارخية للملوك فتوارثه أهل المجانة والجهارة بمعاصي الله

والبدع وإنما الذي روى الأئمة الثقات الاثبات انهما لما اجتمعا للنظر في الأمر ــ في عصبة كريمة من الناس منهم ابن عمرو ونحوه ــ عزل عمرو معاوية. ذكر الدارقطني بسنده الى حضين بن المنذر لما عزل عمر ومعاوية جاء (اي حضين بن المنذر) فضرب فسطاطه قريبا من فسطاط معاوية فبلغ نبأه معاوية فأرسل اليه فقال : إنه بلغني عن هذا (أي عن عمرو) كذا وكذا[61] فاذهب فانظر ما هذا الذي بلغني عنه فأتيته فقلت أخبرني عن الأمر الذي وليت انت وأبو موسى كيف صنعتما فيه ؟ قال : قد قال الناس في ذلك ما قالوا والله ما كان الأمر على ما قالوا[62]. ولكن قلت لأبي موسى : ما ترى في هذا الامر ؟ قال : أرى أنه في النفر الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض : قلت فأين تجعلني أنا ومعاوية فقال : ان يستعن بكما ففيكما معونة، وإن يستغن عنكما فطالما استغنى أمر الله عنكما قال فكانت هي التي قتل معاوية منها نفسه فأتيته فأخبرته (أي فأتى حضين معاوية فأخبره) ان الذي بلغه عنه كما بلغه فأرسل الى أبي الأعور الذكواني[63] فبعثه في خيله، فخرج يركض فرسه ويقول : أين عدو الله ؟ أين هذا الفاسق ؟.

قال أبو يوسف[64] أظنه قال «إنما يريد حوباء نفسه» فخرج عمرو الى فرس تحت فسطاطه فجال في ظهره عريانا فخرج يركضه نحو فسطاط معاوية وهو يقول «إن الضجور قد تحتلب العلبة، يا معاوية ان الضجور قد تحتلب العلبة»[65]. فقال معاوية : «أجل وتربد الحالب فتدق أنفه وتكفأ إناءه»[66].

قال الدارقطني ــ وذكر سندا عدلا ــ [67] ربعي عن أبي موسى بن عمرو بن العاص قال «والله لئن كان أبو بكر وعمر تركا هذا المال وهو يحل لهما منه شيء لقد غبنا ونقص رأيهما وايم الله ما كانا مغبونين ولا ناقصي الرأي ولئن كانا امرأين يحرم عليهما هذا المال الذي أصبناه بعدهما لقد هلكنا وايم الله ما جاء الوهم إلا من قبلنا».

فهذا كان بدء الحديث ومنتهاه فأعرضوا عن الغاوين وازجروا العاوين وعرجوا عن سبيل الناكثين الى سنن المهتدين وأمسكوا الالسنة عن السابقين الى الدين واياكم ان تكونوا يوم القيامة من الهالكين بخصومة أصحاب رسول صلى

الله عليه وسلم فقد هلك من كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خصمه ودعوا ما مضى فقد قضى الله فيه ما قضى وخذوا لأنفسكم الجد فيما يلزمكم اعتقادا وعملا ولا تسترسلوا بألسنتكم فيما لا يعنيكم مع كل ناعق اتخذ الدين هملا، فان الله لا يضيع أجر من أحسن عملا ورحم الله الربيع بن خيثم[68] فانه لما قيل له قتل الحسين، قال أقتلوه ؟ قالوا : نعم قال ﴿ اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ﴾[69] ولم يزد على هذا أبدا فهذا العقل والدين والكف عن أحوال المسلمين والتسليم لرب العالمين»[70].

هذه في العقيدة الخالية من الشوائب والسليمة من الشطط والمغالاة. وهكذا كان يبثها ابن العربي في تلاميذه مشافهة وكتابة كما أخذها عن شيوخه.

ونقتطف من مناقشته للشيعة الذين يقولون بأن النبي صلى الله عليه وسلم نص على استخلاف علي بعده فقال «انت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»[71] وقال «اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله»[72]. فلم يبق بعد هذا خلاف فتعدى عليه أبو بكر واقتعد في غير موضعه ثم خلفه في التعدي عمر ثم رجي ان يوقف عمر للرجوع الى الحق، فأبهم الحال وجعلها شورى قصرا للخلاف للذي سمع من النبي صلى الله عليه وسلم ثم تحيل ابن عوف حتى ردها عنه الى عثمان ثم قتل عثمان لتسوره على الخلافة وعلى أحكام الشريعة وصار الامر إلى علي بالحق الالهي النبوي فنازعه من عاقده وخالف عليه من بايعه ونقض عهده من شده وانتدب أهل الشام الى الفسوق في الدين بل الكفر وهذه حقيقة مذهبهم[73] ان الكل عندهم كفرة[74] لأن مذهبهم التكفير بالذنوب. وكذلك تقول هذه الطائفة التي تسمى، بالامامية : ان كل عاص بكبيرة كافر على رسم القدرية ولا أعصى من الخلفاء المذكورين[75] ومن ساعدهم على أمرهم، وأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم احرص الناس على دنيا وأقلهم حمية على دين وأهدمهم لقاعدة وشريعة.

عاصمة : قال القاضي ابو بكر : يكفيك من شر سماعه، فكيف التململ به خمسمائة عام عدا الى يوم مقالي هذا ــ لا ننقص منها يوما ولا نزيد يوما وهو مهل شعبان سنة ست وثلاثين وخمسمائة. وماذا يرجى التمام الا النقص ؟

ما رضيت النصارى واليهود في أصحاب موسى وعيسى ما رضيت الروافض في أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حين حكموا عليهم بأنهم قد وافقوا على الكفر والباطل فما يرجى من هؤلاء وما يستبقى منهم ؟ وقد قال الله تعالى ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا ﴾[76] وهذا قول صدق ووعد حق. وقد انقرض عصرهم ولا خليفة فيهم ولا تمكين ولا أمن ولا سكون الا في ظلم وتعد وغصب وهرج وتشتيت وإثارة ثائرة.

وقد أجمعت الأمة على أن النبي صلى الله عليه وسلم ما نص على أحد يكون من بعده وقد قال العباس لعلي ــ فيما روى عنه عبد الله ابنه ــ قال عبد الله بن عباس خرج بن أبي طالب رضي الله عنه من عند رسول الله صلى عليه وسلم في وجعه الذي توفي فيه فقال الناس : يا أبا حسن كيف أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال أصبح بحمد الله بارئا، فأخذ بيده عباس بن عبد المطلب فقال له أنت والله بعد ثلاث عبد العصا وإني لأرى رسول الله صلى الله عليه وسلم سوف يتوفى من وجعه هذا. إني لأعرف وجوه بني عبد المطلب عند الموت اذهب بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلنسأله، فيمن يكون هذا الأمر بعده فان كان فينا علمنا ذلك وإن كان في غيرنا علمنا فاوصى بنا. فقال علي إنا والله لئن سألناها رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعناها لا يعطيناها الناس بعده وإني والله لا أسألها رسول الله صلى الله عليه وسلم[77] قال القاضي أبو بكر رضي الله عنه رأي العباس عندي أصح وأقرب الى الآخرة والتصريح بالتحقيق وهذا يبطل قول مدعي الاشارة باستخلاف علي فكيف ان يدعى فيه نص ؟

فأما أبو بكر، فقد جاءت امرأة الى النبي صلى الله عليه وسلم فأمرها ان ترجع اليه قالت له فإن لم أجدك ــ كأنها تعني الموت ــ قال تجدين أبا بكر[78].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم لعمر وقد وقع بينه (أي بين عمر) وبين

أبي بكر كلام فتمعر[79] وجه النبي صلى الله عليه وسلم حتى أشفق من ذلك أبو بكر وقال النبي صلى الله عليه وسلم «هل أنتم تاركو لي صاحبي (مرتين) إني بعثت اليكم فقلتم كذبت وقال أبو بكر صدقت ألا إني ابرأ الى كل خليل من خلته»[80] وقال النبي صلى الله عليه وسلم «لو كنت متخذا في الاسلام خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا، ولكن أخي وصاحبي»[81].

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم «بينما أنا نائم رأيتني على قليب[82] عليها دلو فنزعت ما شاء الله ثم أخذها ابن أبي قحافة فنزع منها ذنوبا او ذنوبين[83] وفي نزعه ضعف والله يغفر له ثم استحالت غربا[84] فأخذها ابن الخطاب، فلم أر عبقريا من الناس ينزع نزع عمر حتى ضرب الناس بعطن[85]». وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم صعد أحدا وأبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم فرجف بهم. فقال اثبت أحد فانما عليك نبي وصديق وشهيدان[86] وقال صلى الله عليه وسلم «لقد كان فيمن كان قبلكم من بني اسرائيل رجال يكلمون من غير أن يكونوا أنبياء فان يكن في أمتي منهم أحد فعمر»[87] وقال النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها في مرضه «ادعي لي أبا بكر وأخاك حتى أكتب كتابا فإني أخاف ان يتمنى متمن ويقول : أنا أولى، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر»[88] وقال ابن عباس : ان رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله إني أرى الليلة في المنام ظلة تنظف السمن والعسل فأرى الناس يتكففون بأيديهم فالمستكثر والمستقل وأرى سببا وأصلا من السماء الى الأرض فأراك اخذت به فعلوت ثم أخذ به رجل آخر فعلا به ثم أخذ به رجل آخر فعلا به ثم أخذ به رجل آخر فانقطع ثم وصل له فعلا (وذكر الحديث) ثم عبرها أبو بكر فقال : وأما السبب الواصل من السماء الى الأرض فالحق الذي انت عليه فأخذته فيعليك الله ثم يأخذ به رجل آخر بعدك فيعلو به ثم يأخذه رجل آخر فيعلو به ثم يأخذه رجل فينقطع به ثم يوصل فيعلو به»[89].

وصح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم «من رأى منكم رؤيا ؟» فقال رجل أنا رأيت كأن ميزانا نزل من السماء فوزنت أنت وأبو بكر فرجحت ووزن أبو بكر وعمر فرجح أبو بكر ووزن عمر وعثمان فرجح عمر. ثم رفع

الميزان فرأينا الكراهية في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم.[90].

وهذه الأحاديث جبال في البيان وجبال في السبب الى الحق لمن وفقه الله ولو لم يكن معكم أيها السنية الا قوله تعالى : ﴿ الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار ﴾.[91] فجعلها في نصيف وجعل أبا بكر في نصيف آخر وجمع معه جميع الصحابة. واذا تبصرتم هذه الحقائق فليس يخفى منها حال الخلفاء في خلالهم وولايتهم وترتيبهم خصوصا وعموما. وقد قال الله تعالى ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ﴾[92] واذا لم ينفذ هذا الوعد في الخلفاء فلمن ينفذ ؟ واذا لم يكن فيهم فيمن يكون ؟ والدليل عليه انعقاد الاجماع أنه لم يتقدمهم في الفضيلة أحد الى يومنا هذا، ومن بعدهم مختلف فيه وأولئك مقطوع بهم متيقن إمامتهم ثابت نفوذ وعد الله لهم فانهم ذبوا عن حوزة المسلمين وقاموا بسياسة الدين. قال علماؤنا : ومن بعدهم تبع لهم من الأئمة الذين هم أركان الملة ودعائم الشريعة الناصحون لعباد الله الهادون من استرشد إلى الله فأما من كان من الولاة الظلمة فضرره مقصور على الدنيا وأحكامها واما حفاظ الدين فهم الأئمة العلماء الناصحون لدين الله وهم أربعة أصناف :

الصنف الأول : حفظوا أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم بمنزلة الخزان لأقوات المعاش.

الصنف الثاني : علماء الأصول : ذبوا عن دين الله أهل العناد وأصحاب البدع فهم شجعان الاسلام وأبطاله المداعسون[93] عنه في مآزق الضلال.

الصنف الثالث : قوم ضبطوا أصول العبادات، وقانون المعاملات وميزوا المحللات من المحرمات وأحكموا الخراج والديات وبينوا معاني الايمان والنذور وفصلوا الأحكام في الدعاوي فهم في الدين بمنزلة الوكلاء المتصرفين في الأموال.

الصنف الرابع : تجردوا للخدمة ودأبوا على العبادة واعتزلوا الخلق وهم في الآخرة كخواص الملك في الدنيا.

قال القاضي أبو بكر (رضي الله عنه) وهذه كلها اشارات أو تصريحات او دلالات أو تنبيهات ومجموع ذلك يدل على صحة ما جرى وتحقيق ما كان من العقلاء. ونقول ــ بعد هذا البيان ــ على مقام آخر : لو كان هنالك نص على أبي بكر أو علي علي لم يكن بد من احتجاج علي به او يحتج له به غيره من المهاجرين والأنصار فأما حديث غدير خم[94] فلا حجة فيه لأنه انما استخلفه في حياته على المدينة كما استخلف موسى هارون في حياته عند سفره للمناجاة على بني اسرائيل. وقد اتفق الكل من أخوانهم اليهود على أن موسى مات بعد هارون فاين الخلافة ؟

وأما قوله «اللهم وال من والاه» فكلام صحيح ودعوة مجابة وما يعلم أحد عاداه الا الرافضة فانهم أنزلوه في غير منزلته ونسبوا اليه مالا يليق بدرجته والزيادة في الحد نقصان من المحدود. ولو تعدى عليها أبو بكر ما كان المتعدي وحده بل جميع الصحابة ــ كما قلنا ــ لأنهم ساعدوه على الباطل.

ولا تستغربوا هذا من قولهم فانهم يقولون : ان النبي صلى الله عليه وسلم كان مداريا لهم، معنيا بهم على نفاق وتقية وأين أنت من قول النبي صلى الله عليه وسلم حين سمع قول عائشة رضي الله عنها مروا عمر فليصل بالناس «إنكن لانتن صواحب يوسف مروا أبا بكر فليصل بالناس»[95] وما قدمنا من تلك الأحاديث.

لقد اقتحموا عظيما ولقد افتروا كبيرا وما جعلها عمر شورى الا اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر اذ قال «ان استخلف فقد استخلف من هو خير مني وإن لم استخلف فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يستخلف»[96] فما رد هذه الكلمات أحد وقال «أجعلها شورى في النفر الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض»[97] وقد رضي الله عن أكثر منهم ولكنهم كانوا خيار الرضا وشهد لهم بالاهلية للخلافة.

وأما قولهم تحيل ابن عوف حتى ردها لعثمان فلئن كانت حيلة ولم يكن سواها فلأن الحول ليس اليه. واذا كان عمل العباد حيلة او كان القضاء بالحول فالحول والقوة لله. وقد علم كل أحد أنه لا يليها إلا واحد فاستبد عبد الرحمان

بن عوف بالامر ــ بعد أن أخرج نفسه ــ على أن يجتهد للمسلمين في الأسد والاشد. فكان كما فعل وولاها من استحقها و لم يكن غيره أولى منه بها، حسبما بينا في «مراتب الخلافة» من (انوار الفجر)[98] وفي غيره من كتب الحديث. وقتل عثمان فلم يبق على الأرض أحق بها من علي فجاءته على قدر في وقتها ومحلها وبين الله على يديه من الأحكام والعلوم ما شاء الله أن يبين وقد قال عمر لولا علي لهلك عمر وظهر من فقهه وعلمه في قتال أهل القبلة من استدعائهم ومناظرتهم وترك مبادرتهم والتقدم اليهم قبل نصب الحرب معهم، وندائه : لا نبدأ بالحرب ولا يتبع مول ولا يجهز على جريح ولا تهاج امرأة، ولا نغنم لهم مالا وأمره بقبول شهادتهم والصلاة خلفهم حتى قال أهل العلم : لولا ما جرى ما عرفنا قتال أهل البغي.

وأما تكفيرهم للخلق فهم الكفار. وقد بينا أحوال أهل الذنوب التي ليس منها سب في غير ما كتاب وشرحناها في كل باب.

فان قيل فقد قال العباس في علي ما رواه الأئمة ان العباس وعليا ختصما عند عمر في شأن أوقاف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال العباس لعمر : يا أمير المؤمنين اقضي بيني وبين هذا الظالم الكاذب الآثم الجائر.[99] فقال الرهط لعمر : يا أمير المؤمنين اقض بينهما وأرح أحدهما من الآخر. فقال عمر أنشدكم الله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا نورث، ما تركناه صدقة[100] يريد بذلك نفسه ؟ قالوا قد قال ذلك فاقبل على العباس وعلي فقال : أنشدكما الله هل تعلمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك ؟ قالا : نعم قال عمر : إن الله خص رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الفيء بشيء لم يعطه احدا غيره فعمل فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم حياته ثم توفي فقال ابو بكر : أنا ولي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبضها سنتين في إمارته فعمل فيها بما عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتما تزعمان أن أبا بكر كاذب غادر خائن[101] والله يعلم انه لصادق بار راشد تابع للحق. وذكر الحديث.

قلنا اما قول العباس لعلي فقول الأب للابن وذلك على الرأس محمود وفي

سبيل المغفرة مبذول وبين الكبار والصغار ـــ فكيف الآباء والأبناء ـــ مغفور موصول واما قول عمر انهما اعتقدا ان ابا بكر ظالم خائن غادر فانما ذلك خبر عن الاختلاف في نازلة وقعت من الأحكام رأى فيها هذا رأيا ورأى فيها أولئك رأيا فحكم ابو بكر وعمر بما رأيا ولم ير العباس وعلي ذلك ولكن لما حكما سلما لحكمهما كما يسلم لحكم القاضي في المختلف فيه واما المحكوم عليه فرأى أنه قد وهم ولكن سكت وسلم.

فان قيل انما يكون ذلك في أول الحال ـــ والامر لم يظهر ـــ اذ كان الحكم باجتهاد، واما بعد أن أدى هذا الحكم الى منع فاطمة والعباس الميراث بقول النبي صلى الله عليه وسلم «لا نورث، ما تركنا صدقة» وعلمه ازواج النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه العشرة وشهدوا به فبطل ما قلتموه.

قلنا يحتمل أن يكون ذلك في أول الحال ـــ والأمر لم يظهر بعد ـــ فرأينا أن خبر الواحد في معارضة القرآن والأصول والحكم المشهور في الزمن لا يعمل به حتى يتقرر الامر فلما تقرر سلما وانقادا بدليل ما قدمنا من الحديث الصحيح الى آخره فلينظر فيه وهذا ايضا ليس بنص في المسألة لأن قوله «لا نورث ما تركنا صدقة» يحتمل أن يكون : لا يصح ميراثنا، ولا أنا أهل له، لأنه ليس لي ملك، ولا تلبست بشيء من الدنيا ينتقل إلى غيري عني ويحتمل «لا نورث» حكم وقوله «ما تركنا صدقة» حكم آخر معين أخبر به أنه قد أنفذ الصدقة فيما كان بيده من سهمه المتصير اليه بتسويغ الله له. وكان من ذلك مخصوصا بما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب، وكان له سهمه مع المسلمين فيما غنموا بما أخذوه عنوة ويحتمل أن يكون «صدقة» منصوبا على أن يكون حالا من المتروك الى هذا أشار أصحاب أبي حنيفة وهو ضعيف وقد بيناه في موضعه بيد أنه ياتيك في هذا أن المسألة مجرى الخلاف ومحل الاجتهاد وأنها ليست بنص من النبي صلى الله عليه وسلم فتحتمل التصويب والتخطئة من المجتهدين»[102]

ويتجلى من خلال هذه الردود صفاء العقيدة والنزاهة في التفكير وتوخي الموضوعية والحق عن طريق البراهن والأدلة الشرعية والعقلية وكل هذا كان يبثه ابن العربي في تلاميذه ومعاصريه وهكذا كان له فضل تخريج علماء الجيل. اذ ذاك كانت مملكة علي بن يوسف بن تاشفين تزداد اتساعا واستفحالا بما كان

يستلحقه من بلاد ملوك الطوائف وبما استرده او فتحه من الاسبانيين. وكان الوالي علي شرق الأندلس وجنوبها لعلي ابن يوسف بن تاشفين اخوه تميم بن يوسف وفي سنة 513 انتعش الاسبانيون واخذوا في إزعاج البلاد الاسلامية فجاز علي بن يوسف بن تاشفين من المغرب الى الأندلس وقاتلهم وانتصر عليهم. وعاد سنة 515 فاستمرت الحال على ذلك الى أن توفي تميم بن يوسف سنة 520 فولى علي ابن يوسف بن تاشفين على الاندلس ابنه تاشفين بن علي وفي هذه الفترة كان ابن العربي قد بلغ القمة في مكانته العلمية بما ظهر من مؤلفاته العظيمة، وما انتشر في ربوع الاندلس والمغرب من تلاميذه ومريديه.

ان المكانة التي وصل اليها ابن العربي في العلم وعزته وسيادته على القلوب كانت مثار الحسد له والاحنة عليه من العلماء الرسميين الذين يتجرون بقشور العلم ليبنوا بها دنياهم وحين ولى القضاء ازداد غيظ حاسديه واشتد غيظ صغار النفوس عليه، ولاسيما أهل الجور والظلم والغضب الذين كان شديد الأحكام عليهم والأخذ منهم للمظلومين منضما اليهم أهل المجون والفسقة. وما أكثرهم يومئذ في اشبيلية. وقد تمكن مبغضوه هؤلاء من إثارة العامة عليه حتى حل بداره في أحد الايام مثل الذي حل بأمير المؤمنين عثمان ابن عفان لما تألب البغاة عليه وهاجموه في داره. ولاشك أن هذه الحادثة وقعت له في آخر ولايته للقضاء وقد أشار الى ذلك في كتابه العواصم من القواصم الذي ألفه سنة 536 هـ حيث يقول : «ولقد حكمت بين الناس فألزمتهم الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى لم يك في الأرض منكر واشتد الخطب على أهل الغصب وعظم على الفسقة الكرب فتألبوا وألبوا وثاروا الي فاستسلمت لأمر الله، وامرت كل من حولي ألا يدفعوا عن داري وخرجت على السطوح بنفسي فعاثوا علي، ولولا ما سبق من حسن المقدار لكنت قتيل الدار. وكان الذي حملني على ذلك ثلاثة أمور أحدها وصاية النبي صلى الله عليه وسلم (اي بالكف عن القتال في الفتنة) الثاني الاقتداء بعثمان. والثالث سوء الأحدوثة التي فر منها رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤيد بالوحي(103) فان من غاب عني بل من حضر من الحسدة معي خفت أن يقول : ان الناس مشوا اليه مستغيثين به فأراق دمائهم»(104)

فنكب ابن العربي في هذه الثورة ونهبت كتبه كلها وانصرف أو صرف

عن القضاء وكان من حكمة الله في هذه النازلة ان تفرغ ابن العربي للعلم وواصل إكمال مؤلفاته وكما شهد ابن العربي سقوط دولة آل عباد على يد يوسف بن تاشفين في أول شبابه شاهد سقوط دولة يوسف بن تاشفين على يد عبد المومن بن علي صاحب دولة الموحدين في أواخر شيخوخته وعقب ذلك اخذت وفود مدائن الاندلس تفد على مراكش طالبة من عبد المومن الاستيلاء على بلادهم من بقايا المرابطين وقد حضر في سنة 524.هـ وفد اشبيلية برئاسة كبير علمائها الامام ابي بكر بن العربي ولسبب غامض لا نعرفه الى الآن حبس عبد المومن هذا الوفد في مراكش نحو عام ثم سرحوا، فأدركته منيته في منصرفه من مراكش كما نص على ذلك ابن فرحون في الديباج المذهب.

وهكذا جاهد ابن العربي طوال حياته من أجل اثبات العقيدة الأشعرية في المغرب في وقت عمل فيه الولاة والفقهاء ــ مدفوعين الى ذلك ــ على القضاء على هذه العقيدة، وكما حاول المرابطون مضايقة الأشعرية وعادوها وعملوا من أجل القضاء عليها فقد كانت هناك مضايقات أخرى تتمثل في موقف ابن حزم الهجومي وموقف ابن رشد العدائي وسنعود الى ايضاح ذلك بعد الحديث عن القاضي العياض.

القاضي عياض

هو أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي الامام العلامة يكنى أبا الفضل سبتي الدار والميلاد أندلسي الأصل قال ولده محمد : كان اجدادنا في القديم بالاندلس ثم انتقلوا الى مدينة فاس وكان لهم استقرار بالقيروان لا أدري قبل حلولهم بالاندلس او بعد ذلك وانتقل عمرون الى سبتة بعد سكنى فاس.

كان القاضي أبو الفضل عياض امام وقته في الحديث وعلومه عالما بالتفسير وجميع علومه فقيها أصوليا عالما بالنحو واللغة وكلام العرب وأيامهم وأنسابهم بصيرا بالأحكام عاقدا للشروط حافظا لمذهب مالك رحمه الله تعالى شاعرا مجيدا ريانا من الأدب خطيبا بليغا صبورا حليما جميل العشرة جوادا سمحا كثير الصدقة دءوبا على العمل صلبا في الحق. رحل الى الأندلس سنة سبع وخمسمائة طالبا للعلم فاخذ بقرطبة عن القاضي ابي عبد الله محمد بن علي بن حمدين وأبي الحسين

بن سراج وعن أبي محمد بن عتاب وغيرهم وأجاز له الشيخ أبو بكر الطرطوشي ومن شيوخه القاضي ابو الوليد بن رشد قال صاحب الصلة البشكوالية وأظنه سمع من ابن رشد وقد اجتمع له من الشيوخ بين من سمع منه وبين من أجاز له : مائة شيخ. وذكر ولده محمد منهم : احمد بن بقي وأحمد بن محمد بن مكحول وأبو الطاهر أحمد بن محمد السلفي والحسن بن محمد بن سكرة والقاضي أبو بكر بن العربي والحسن بن علي بن طريف وخلف بن ابراهيم بن النحاس ومحمد بن أحمد ابن الحاج القرطبي وعبد الله بن محمد الخشني وعبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي وعبد الرحمان بن بقي بن مخلد وعبد الرحمان بن محمد بن العجوز وغيرهم ممن يطول ذكرهم قال صاحب الصلة : وجمع من الحديث كثيرا وله عناية كبيرة به واهتمام بجمعه وتقييده وهو من أهل التفنن في العلم واليقظة والفهم وبعد عوده من الأندلس أجلسه أهل سبتة للمناظرة عليه في المدونة وهو ابن ثلاثين سنة أو ينيف عنها ثم اجلس للشورى ثم ولي قضاء بلده مدة طويلة حمدت سيرته فيها ثم نقل الى قضاء غرناطة في سنة احدى وثلاثين وخمسمائة ولم يطل امره بها ثم ولي قضاء سبتة ثانيا ولما ظهر امر الموحدين بادر الى المسابقة بالدخول في طاعتهم ورحل الى لقاء أميرهم بمدينة سلا فأجزل صلته وأوجب بره الى أن اضطربت أمور الموحدين عام ثلاثة وأربعين وخمسمائة فتلاشت حاله ولحق بمراكش مشردا به عن وطنه فكانت بها وفاته»

له التصانيف المفيدة البديعة منها «إكمال العلم في شرح صحيح مسلم» ومنها كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم أبدع فيه كل الابداع وسلم له أكفاؤه كفايته فيه ولم ينازعه أحد من الانفراد به ولا انكروا مزية السبق اليه بل تشوقوا للوقوف عليه وانصفوا في الاستفادة منه وحمله الناس وطارت نسخه شرقا وغربا وكتاب «مشارق الأنوار في تفسير غريب حديث الموطأ والبخاري ومسلم، وضبط الألفاظ والتنبيه على مواضع الأوهام والتصحيفات وضبط اسماء الرجال» وهو كتاب لو كتب بالذهب أو وزن بالجوهر لكان قليلا في حقه، وفيه أنشد بعضهم :

مشارق انوار تبدت بسبتة ... ومن عجب كون المشارق بالغرب

وكتاب « التنبيهات المستنبطة على الكتب المعروفة » جمع فيه غرائب من

ضبط الالفاظ وتحرير المسائل وكتاب «ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك» وكتاب «الاعلام بحدود قواعد الاسلام» وكتاب «الالماع في ضبط الرواية وتقييد السماع» وكتاب «بغية الرائد لما تضمنه حديث ام زرع من الفوائد» وكتاب «الغنية» في شيوخه وكتاب «المعجم في شيوخ ابن سكرة» وكتاب «نظم البرهان على صحة جزم الاذان» وكتاب «مسألة الأهل المشروط بينهم التزاور» ومما لم يكمله «المقاصد الحسان فيما يلزم الانسان» وكتاب «العيون الستة في اخبار سبتة» وكتاب «غنية الكاتب وبغية الطالب في الصدور والترسل» وكتاب «الأجوبة المحبرة على الاسئلة المتخيرة» وكتاب «أجوبة القرطبيين» وكتاب أجوبته عما نزل في أيام قضائه من نوازل الأحكام في سفر وكتاب «سر السراة في أدب القضاة» وكتاب خطبه وكان لا يخطب الا من إنشائه.

كان مولد القاضي عياض بسبتة في شهر شعبان سنة ست وتسعين وأربعمائة وتوفي بمراكش في شهر جمادى الأخيرة وقيل في شهر رمضان سنة أربع وأربعين وخمسمائة وقيل : انه مات مسموما سمه يهودي ودفن رحمه الله بباب ايلان داخل المدينة»(105)

وقد كان القاضي عياض على مذهب ابي الحسن الأشعري فقد صحب عبد الغالب بن يوسف السالمي المتوفى سنة 516 هـ المتكلم على مذهب أهل السنة من الأشعرية منذ إقامته بسبتة وناوله كثيرا من مجموعاته وقرأ على يوسف بن موسى الكلبي المتكلم على مذهب الأشعرية ارجوزته التي ألفها في الاعتقادات كما قرأ كتاب المناهج في الجدل والمناظرة لأبي الوليد الباجي.

وما احتجاج القاضي عياض المتكرر في كتاباته بآراء أبي الحسن الأشعري والقاضي ابي بكر الباقلاني وأبي بكر بن فورك وأبي المعالى إمام الحرمين الجويني(106) الا دليل قاطع على صلته الوثيقة بالمذهب الأشعري ودراسته لمؤلفات أعلامهم في الاعتقاد كما أنه يصف الباقلاني وابن فورك بقوله «من أئمتنا» كما أن مناقشات عياض العميقة لآراء المعتزلة وللفرق الاعتقادية الاسلامية على اختلاف مذاهبها تطلع الدارس لعياض على معرفته الواسعة بالمذاهب الاعتقادية وآراء أصحابها. وعلى اختياره لمعتقد الأشاعرة والتزامه به وصدوره منه للرد على مخالفيه باعتباره معتقد أهل السنة والجماعة.

وهكذا فصلة القاضي عياض بعلم الكلام وما يتبعه من جدل ومناظرة ومعرفته بدقائق آراء المخالفين لأهل السنة فيه تصل بنا الى أن المدرسة التي اخرجت القاضي عياضا وشيوخه الذين تعلم عليهم الكلام وأصول الدين والعلماء المغاربة الذين اشتغلوا بعلم الكلام واشتهروا به وترجم لهم في «ترتيب المدارك». هذه المدرسة كانت على علم تام بالجدل والمناظرة وأصول الدين والكلام على مذهب أبي الحسن الأشعري وان كتب الاشاعرة في علم الكلام كانت معروفة بين رجالها يتدارسونها في كافة انحاء المغرب وهذه الفئة من العلماء هي التي صمدت في وجه الفقهاء المتزمتين وظلت تحافظ على تجذير العقيدة الأشعرية في المغرب وتدافع عنها.

وقد جاهد القاضي عياض و لم يتنازل عن عقيدته السنية طوال حياته وهذا هو سبب عداء الموحدين له[107] ولذلك غربوه عن بلده ونغصوا عليه أواخر حياته الى أن لقي ربه وما ذلك الا لأن القاضي عياضا رفض فكرة عصمة الائمة وهي من الأفكار الاساسية التي قامت عليها الدعوة الموحدية. ولا نخفي هنا استغرابنا لقول ابن فرحون في ترجمته للقاضي عياض «ولما ظهر أمر الموحدين بادر الى المسابقة بالدخول في طاعتهم ورحل الى لقاء أميرهم بمدينة سلا فأجزل صلته وأوجب بره»[108] فكيف يبادر الى المسابقة بالدخول تحت لواء دعوة لم تقم على أسس سنية بل قامت على أفكار شيعية كالعصمة والامامة ؟

ب ــ موقف الرفض ومحاربة الأشعرية

ابن حزم

واجه الاشاعرة والأشعرية بالمغرب الاسلامي خصم عنيد هو ابن حزم الذي اعطى للمذهب الظاهري نفسا جديدا بالأندلس واحياه في عصره[109]

وابن حزم هو أبو محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صلح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد الفارسي مولى يزيد بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي يقول عبد الواحد المراكشي الذي اورد هذا النسب : قريء علي نسبه هذا بخطه على ظهر كتاب

من تصانيفه أصل آبائه الادنين من قرية من إقليم لبلة من غرب الاندلس سكن هو وأبوه قرطبة وكان أبوه من وزراء المنصور محمد بن أبي عامر ووزراء ابنه المظفر بعده وكان هو المدبر لدولتيهما وكان ابنه ابو محمد الفقيه وزيرا لعبد الرحمان بن هشام بن عبد الجبار بن الناصر الملقب بالمستظهر بالله أخي المهدي المذكور آنفا ثم إنه نبذ الوزارة واطرحها اختيارا وأقبل على قراءة العلوم وتقييد الآثار والسنن فنال من ذلك ما لم ينل أحد قبله بالاندلس وكان على مذهب الامام ابي عبد الله الشافعي رحمه الله. أقام على ذلك زمانا ثم انتقل الى القول بالظاهر وأفرط في ذلك حتى أربى على أبي سليمان داود الظاهري وغيره من أهل الظاهر. وله مصنفات كثيرة جليلة القدر شريفة المقصد في أصول الفقه وفروعه على مهيعه الذي يسلكه ومذهبه الذي يتقلده وهو مذهب داود ابن خلف الاصبهاني الظاهري ومن قال بقوله من أهل الظاهر ونفاة القياس والتعليل. بلغني عن غير واحد من علماء الاندلس ان مبلغ تصانيفه في الفقه والحديث والاصول والنحل والملل وغير ذلك من التاريخ والنسب وكتب الادب والرد على المخالفين له نحو من أربعمائة مجلد تشتمل على قريب من ثمانين الف ورقة وهذا شيء ما علمناه لأحد ممن كان في مدة الاسلام قبله إلا لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري فانه أكثر أهل الاسلام تصنيفا.

ولأبي محمد بن حزم بعد هذا نصيب وافر من علم النحو واللغة وقسم صالح من قرض الشعر وصناعة الخطابة (ويسوق المترجم مقاطع وابياتا لابن حزم) ثم يقول بعد ذلك : وجد بخطه انه ولد يوم الاربعاء بعد صلاة الصبح وقبل طلوع الشمس آخر يوم من رمضان سنة 384 هـ وتوفي رحمه الله في سلخ شعبان من سنة 456 هـ. وانما أوردت هذه النبذة من أخبار هذا الرجل (يقول عبد الواحد المراكشي) لأنه اشهر علماء الأندلس اليوم وأكثرهم ذكرا في مجالس الرؤساء وعلى السنة العلماء وذلك لمخالفته مذهب مالك بالمغرب واستبداده بعلم الظاهر. ولم يشتهر عندنا أحد ممن علمت وقد كثر اهل مذهبه واتباعه عندنا بالأندلس اليوم»[110]

ومن شيوخه أبو الوليد بن الفرضي وهو رجل ذو شخصية علمية عظيمة رحل الى المشرق واطلع وقرأ على علمائه وكان من أصحاب النزعة الأدبية ولكنه

راو من رواة الحديث وأحب ابن حزم أن يأخذ بقسط من الفلسفة التي زخرت قرطبة بمعلميها وطلابها فعقد صلة بكبير من كبار فلاسفتها وهو عبد الله محمد بن الحسين المذحجي المعروف بابن الكتاني فنبه فيه الرغبة لتحصيل ذلك اللون من المعرفة قبل أن يترك قرطبة. وفي المرية تابع ابن حزم تحصيل العلم ليستدرك ما فاته في قرطبة ليروي ظمأه من المعرفة وقد ذكر ابن حزم أنه كان متصلا في هذه المدينة بطبيب يهودي. والأطباء في تلك القرون الوسطى هم رجال الفلسفة فوجد فيه ابن حزم مرشدا له في سبيل النظر الفلسفي وهذا الاتصال لفته الى تعرف أصول الدين اليهودي مما كان له عونا في المناظرات التي عقدها فيما بعد مع رجال هذا الدين واصبحت مجالسه مع اليهود اذ ذاك مشهورة نوه بها العلماء وهذه فرصة اتيحت لابن حزم ليمارس فيها الجدل والمناظرة ممارسة جدية كما اتيحت له فرص أخرى للمشاركة في الحركة الكلامية التي كانت رائجة اذ ذاك في تلك المدينة بسبب كثرة المذاهب التي كانت قائمة فيها ومنها مذهب ابن مسرة الاندلسي ومذهب المعتزلة المشرقي ومذهب الباطنية. وبسبب الثقافات والنزاعات التي كانت تتصارع اذ ذاك فاقحم نفسه في كل مجلس وأصبح منذ ذلك الوقت رجلا جدلا يجد في اصطناع الجدل واستشعار الغلبة فيه لذة كبرى.

ثم عاد ابن حزم الى قرطبة رجلا ناضجا قوي الشخصية معتدا بنفسه وبعلمه لما أفاده من مناظراته في المرية فكان اول تعبير عن ذلك ان خرج عن المذهب المالكي الذي كان سائدا بالمغرب والأندلس من باب «خالف تعرف» بعد أن ترك المذهب الشافعي الذي اعتنقه أياما ثم جميع المذاهب الأخرى لأنها بنيت على القياس الذي ينتقده ولا يقبله واخذ بمذهب داود بن علي الاصبهاني(111) رأس المذهب الظاهري في الشرق فغدا بذلك رجلا جديدا في بيئته لقد سبق له أن درس واطلع على جميع المذاهب فلم يرتض لنفسه منها شيئا لذلك وضع لنفسه مذهبا يرضيها واخذ يهاجم بقية المذاهب من جهة ليس معه فيها نصير ضد من ناصبهم العداء فاخذ يشن هجماته عليهم ويسفه آراءهم الكلامية المختلفة وعقد مناظرات مع أهل المذاهب الشائعة اتسمت أكثر الأحيان باغلاظه القول لمناظريه والتهجم عليهم بالتسفيه تارة وبالتفسيق بل وبالتفكير اخرى حتى قدم أبو الوليد الباجي من المشرق وهو أندلسي قصد المشرق في طلب العلم وعاد مزودا بعلم كثير مع حجة دامغة فقابله الفقهاء عند وصوله

بالتهليل والتكبير ووجدوا فيه الرجل الذي يخلصهم من ابن حزم وعناده وذكروا له مالا قوة من ذلك الخصم المنتصر والمجادل المفحم فدخل عليه وناظره ويقال بأنه استطاع ان يتغلب على ابن حزم في عدة مسائل حتى شهر باطله واضطر ابن حزم نفسه ان يشهد له بالعلم فيقول في عبارة أثرت عنه «لو لم يكن لأصحاب المذهب المالكي الا مثل أبي الوليد لكفاهم». فاضطر ابن حزم ان يرحل الى اشبيلية وفيها عاد الى سابق عادته في مناوأة الفقهاء فوشوا به لدى المعتضد وقالوا له ان ابن حزم ينكر خلافة بني عباد ويقول بعدم شرعيتها ويقول بانهم وصلوا اليه بالخديعة مستترين باسم هشام بن الحكم الأموي الذي مات من مدة عشرين سنة قبل ولايتهم وبذلك كسب بنو عباد عطف الأمويين وتأييدهم. فتجمعت الاحقاد من جديد على ابن حزم من قبل الحاكم والعلماء. وقد أصبح اليوم شيخا أوفى على السبعين من عمره، وهو رغم سنه لا يزال متقد الحمية فثار المعتمد بن عباد عليه ففر من اشبيلية الى بادية (لبلة) غرب الأندلس وهناك اخذ يبث علمه فيمن يتردد عليه من أصاغر الطلبة يحدثهم ويفقههم ويدارسهم ولكن الفقهاء لم يتركوه في عزلته هناك واغروا به ابن عباد المعتضد الذي أراد أن يؤذيه في أعز ما يملك، في ثراته العلمي بعد ان نفذت الحيلة في اسكاته فجمع كل مؤلفات ابن حزم واحرقها في اشبيلية واقترف بذلك اثما عظيما. ولكن ابن حزم الشيخ الكبير لم يرد على هذه الكارثة التي أصابته في ثمرة أفكاره وتحصيله الذي فاق فيه أهل زمانه الا بابيات تبين لنا مدى ما وصل اليه من اعجاب بالنفس وعدم خضوع فقال :

فان تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذي — تضمنه القرطاس بل هو في صدري
يسير معي حيث استقلت ركائبي — وينزل اذ أنزل ويدفن في قبري
دعوني من احراق رق وكاغـد — وقولوا بعلم كي يرى الناس من يري
والافقـودوا للمكـاتب بـدأة — فكم دون ما تبغوه لله من ستر

وهكذا شرع في املاء مضمون كتبه من جديد وقد احتفظ لنا التاريخ من مؤلفاته بالشيء الكثير فمما هو متداول بين أيدينا اليوم كتبه التالية : المحلى، الأحكام في أصول الأحكام، الفصل في الملل والأهواء والنحل، التقريب لحد المنطق والمدخل اليه بالألفاظ العامية والامثلة الفقهية، طوق الحمامة.. الخ

والذي يعنينا من مؤلفاته في بحثنا هذا هو كتابه الفصل في الملل والأهواء والنحل ومقدمة كتابه المحلى فقد كرس كتابه الفصل لاظهار سمو الدين الاسلامي على الديانة اليهودية والنصرانية، وفي داخل الاسلام لاظهار سمو فريق أهل السنة والجماعة والذي يعني به المذهب الظاهري على باقي الفرق التي تعود في أصلها الى أربع هي المرجئة والمعتزلة والشيعة والخوارج[112] : «قال ابو محمد فرق المقرين بملة الاسلام خمسة وهم أهل السنة والمعتزلة والمرجئة والشيعة والخوارج ثم افترقت كل فرقة من هذه على فرق وأكثر افتراق أهل السنة في الفتيا ونبذ يسيرة من الاعتقادات ثم سائر الفرق الأربعة التي ذكرها ففيها ما يخالف أهل السنة الخلاف البعيد وفيهم ما يخالفهم الخلاف القريب فاقرب فرق المرجئة الى أهل السنة من ذهب مذهب أبي حنيفة الفقيه : الى أن الإيمان هو التصديق باللسان والقلب معا وان الأعمال إنما هي شرائع الايمان وفرائضه فقط وأبعدهم أصحاب جهم بن صفوان والأشعري ومحمد بن كرام السجستاني فإن جهما والأشعري[113] يقولون إن الإيمان عقد بالقلب فقط وان أظهر الكفر والتثليث بلسانه وعبد الصليب في دار الاسلام بلا تقية»[114].

وقد درس ابن حزم هذه المذاهب والفرق جميعها بالإضافة الى الديانات الأخرى المسيحية واليهودية خاصة. وانتهى الى نتيجة وقف عندها وبنى عليها سائر أحكامه وهي أن المذهب الظاهري وحده هو الصحيح وكل ما عداه خطأ وضلال وأنه هو الذي يمثل عقيدة السلف أهل السنة والجماعة.

والمذهب الظاهري ينكر التقليد ويفرض الاجتهاد على الأمير كما يفرضه على الفقير ويفرضه على الجاهل كما يفرضه على العالم ويمكن كل امريء من أن يكون فقيها ويخوله الحق في استنباط الأحكام الشرعية من النصوص الثابتة دون الرجوع الى أحد ممن تقدمه او عاصره على ان يتقيد بظاهر معناها فلا يضيف من عنده شيئا ولا يحذف من مؤداها البسيط شيئا والنص الأكبر الثابت الذي لا يرقى اليه ظل من شك هو القرآن «كل ما فيه عن نبي من الأنبياء أو مسخ أو عذاب أو نعيم او غير ذلك، فهو حق على ظاهره لارمز في شيء منه قال تعالى ﴿ قرءانا عربيا ﴾ وقال تعالى ﴿ تبيانا لكل شيء ﴾ وانكر تعالى على قوم خالفوا هذا فقال تعالى ﴿ يحرفون الكلم عن مواضعه ﴾[115]

ليس في الدين اذن شيء اسمه رمزية ولا ورد في القرآن ولا في الأحاديث الصحيحة المروية عن النبي ما يصح اعتباره «رموزا» وبانتفاء الرمز ينتفي التأويل ولا يبقى مكان للرأي الشخصي المحض يقول ابن حزم «وجملة الخبر كله ان تلزموا ما نص عليكم ربكم تعالى في القرآن بلسان عربي مبين لم يفرط فيه من شيء تبيانا لكل شيء وما صح عن نبيكم صلى الله عليه وسلم برواية الثقاة من أئمة أصحاب الحديث رضي الله عنهم مسندا اليه عليه السلام فهما طريقتان يوصلانكم الى رضى ربكم عز وجل. ولا يغرنكم اهل الكفر والالحاد ومن موه كلامه بغير برهان لكن بتمويهات ووعظ على خلاف ما أتاكم به كتاب ربكم وكلام نبيكم صلى الله عليه وسلم فلا خير فيما سواهما واعلموا ان دين الله تعالى ظاهر لا باطن فهي وجهر لا سر تحته كله برهان لا مسامحة فيه واتهموا كل من يدعو أن يتبع بلا برهان وكل من ادعى للديانة سرا وباطنا فيه دعاوي ومخارق واعلموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكتم من الشريعة كلمة فما فوقها ولا اطلع اخص الناس به من زوجة أو ابنة او عم او ابن عم او صاحب على شيء من الشريعة كتمه عن الأحمر والأسود ورعاة الغنم ولا كان عنده عليه السلام سر لا رمز ولا باطن غيرما دعا الناس كلهم اليه ولو كتمهم شيئا لما بلغ كما أمر ومن قال هذا فهو كافر فاياكم وكل قول لم يبن سبيله ولاوضح دليله ولا تعوجا عن ما مضى عليه نبيكم صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم»(116)

وحين يقوم الباحث باستقراء وفحص دقيقين لمختلف مواقف ابن حزم من القضايا الكلامية وهي مواقف اشار اليها بصورة سلبية من خلال نقده لآراء المتكلمين في كتبه المتفرقة وخصوصا منها الفصل في الملل والأهواء والنحل، او بصورة ايجابية في مقدمة كتابه الشهير المحلى حيث يقول «اما بعد وفقنا الله وإياكم لطاعته فانكم رغبتم ان نعمل للمسائل المختصرة.. شرحا مختصرا نقتصر فيه على قواعد البراهين بغير اكثار ليكون مأخذا سهلا على الطالب والمبتديء ودرجا له الى التبحر في الحجاج ومعرفة الاختلاف وتصحيح الدلائل المؤدية الى معرفة الحق مما تنازع الناس فيه» يتجلى للباحث المستقصي تردد ابن حزم تجاه الأشعرية التي يتبنى بعض مواقفها احيانا بينما يقف منها احيانا اخرى مواقف النفور والعداء والهجوم وبهذا الصدد ينتفي ما ذهب اليه المستشرق الفرنسي روجي ارنا لديز

من أن كثيرا من الصيغ والعبارات الحزمية مستقاة ومقتبسة من الأشعري وهذا يعني في نظره ان ابن حزم متأثر بالأشعري وخصوصا لكون هذا الأخير حاول اصلاح علم الكلام من خلال محاولة ارتكزت حسب رأي ارنا لديز على ذم التقليد والمناداة بالاجتهاد بالرجوع الى ظاهر النص «وهي نفس الأسس المنهجية التي ستقوم عليها محاولة ابن حزم الظاهرية في علم لكلام. هذا فضلا عن وحدة الخصم الذي وجه له كل من ابن حزم والأشعري نقدهما وهو المعتزلة فابن حزم استعمل حسب ارنالديز في نقد المعتزلة حججا استقاها واستمدها من كتابي «الابانة عن أصول الديانة» و «مقالات الاسلاميين».[117]

في حين أن ابن حزم عارض في الأشعرية ميلها الى التوفيق بين موقف النصيين والعقليين واتهمها بأنها جنحت بذلك نحو افساح مكان لعنصر التأمل والنظر في العقائد معتبرا ذلك تحريفا لها ولعل هذا ما يفسر لنا عنف لهجته في مخاطبة الأشاعرة والرد عليهم كما سنرى. ولابد من الإشارة هنا الى أننا لا نتفق وما يذهب اليه المستشرق جولدزيهر من أن قسوة ابن حزم على الأشاعرة و «تلطفه» مع المعتزلة مرجعهما الى اقتراب موقفه من مواقف هؤلاء في كثير من القضايا الكلامية وخصوصا مسألة الصفات وهذا في الواقع خلط وقع فيه هذا المستشرق لأن موقف ابن حزم من الصفات معارض تماما لموقف المعتزلة فاذا كان ابن حزم اميل الى موقف أهل السنة الأوائل من اثبات الصفات[118] فان موقف المتعزلة موقف معروف يغرق في التنزيه الى حد السقوط في التعطيل وهو ما رفضه أهل السنة الأوائل. اما مصدر ما سماه جولدزيهر «بتلطفه» مع المعتزلة فيشرحه ابن حزم نفسه بقوله عنهم «فهؤلاء معذورون بالجهل عذرا يبعدهم عن الكفر ولا يخرجهم من الايمان، لا عذرا يسقط عنهم الملامة لأن التعلم لهم معرض ممكن، ولكن لاهادي لمن اضل الله تعالى» أما الأشعري فغير معذور لأنه أراد ان يكون الناطق بلسان أهل السنة والجماعة في نفس الوقت الذي يمزج فيه أساليب هؤلاء بأساليب الاعتزال «ان الأشاعرة يدعون انهم ينكرون التشبيه ثم يركبونه أتم ركوب فيقولون ما لم يكن الفعال عندنا الا حيا عالما قادرا وجب ان يكون الفاعل للأشياء حيا عالما قادرا، وهذا نص قياسهم له تعالى على المخلوقات وتشبيهه تعالى بها ولا يجوز عند القائلين بالقياس أن يقاس الشيء الا على نظيره وأما أن يقاس الشيء على خلافه من كل جهة وعلى ما لا يشبهه في

شيء البتة فهذا مالا يجوز أصلا عند أحد فكيف والقياس كله باطل لا يجوز»[119].

ان اثبات شيء في أصول الدين لا يجوز حسب ابن حزم، وحسب أهل الحديث إلا بنص أو بخبر، أما بالقياس فلا لأن هذا الأخير لا يقدم دلائل بل تشبيهات بين طرفين غير متناظرين ولا متساويين هما الخالق والمخلوق، ولا يدرك الهوة الأونطولوجية التي تفصل بينهما وتجعل التجربة الانسانية في الشاهد غير مؤهلة لأن تكون سندا نعتمده في استشفاف ملامح ما يحدث في المستوى الالهي وان هذا النوع من الاستدلال هو ما تقوم عليه اشكالية علم الكلام : فالمجسمة يقيسون صفات الله وصورته على ما هو مدرك في الشاهد اما المعتزلة والجهمية فيطلعون الله من صفاته قصد تنزيهه من الصفات التي يتصف بها الخلق في الشاهد. فالشاهد في كلتا الحالتين هو المنطلق في الحكم على الغائب. وهو المعيار الذي يقاس به. في حين ان ما كان ينبغي هو وصف الله بما وصف به نفسه دون السؤال لم وكيف لأن محاولة الاجابة عنهما لا يمكن أن تتم الا من منظور التجربة الانسانية اذ العقل ركب على نحو لا يستطيع معه ان يتصور الا ما يمثل في خبرته ويعطى لمشاهدته.

ولكن ابن حزم لم يقف عند حدود الانتقاد المنهجي والوجيه بل إنه يجاوز ذلك الى حدود التحامل والهجوم العاطفي بل والعشوائي على الأشعري وقد لاحظ ذلك بحق السبكي[120] حيث قال ان ابن حزم افرط في كتابه «الفصل في الملل والأهواء والنحل» من الغض من شيخ السنة أبي الحسن الأشعري ناسبا ذلك الى عدم معرفته بالمذهب وعدم اطلاعه على كل مؤلفاته.

والغريب أن يقع ابن حزم ضحية هذا الخطأ المنهجي وهو الذي يدعي لنفسه التثبت والتحري حين يقول في كتابه الفصل في الملل والأهواء والنحل : «وليعلم من قرأ كتابنا هذا أننا لا نستحل ما يستحله من لا خير فيه من تقويل أحد ما لم يقله نصا وان آل قوله اليه اذ قد لا يلزم ما ينتجه قوله فيتناقض فاعلموا ان تقويل القائل كافرا كان أو مبتدعا أو مخطئا مالا يقوله نصا كذب عليه ولا يحل الكذب على أحد»[121].

ولكن الملاحظ أن ابن حزم لم يبق وفيا لما التزم به وخصوصا تجاه الأشعرية والغريب أيضا أنه يثبت بشعور أو دون أن يشعر ما ينسف هجوماته من أساسها وما يوقعه في التناقض مع نفسه فهو بعد عرض ما وصله عن الأشاعرة وبعد انتقاده اياه انتقادا قويا وعنيفا بحكم على مصدر معلوماته أحكاما جارحة تجعل هذه الانتقادات تنهار وتهوي على صاحبها فهو يقول مثلا بعد ايراده لقول «بعض الأشاعرة» على حد تعبير ابن حزم وبعد انتقاده لهذا القول انتقادا عنيفا يقول مباشرة «على أن الشيخ غير ثقة فيما حدث به»(122)

لعل من الأسباب الداعية الى مناهضة أهل الحق ومحاربتهم ومضايقتهم قلب الحقائق والادعاءات والاشاعات التي تطلق ضدهم حسدا من معاصريهم على ما آتاهم الله من فضله وتناقل عامة الناس هذه الافتراءات والتشنيعات دون تثبت من صحتها وتمحيص لها وذلك يتنافى مع قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ﴾(123) فعلى المومن أن يتحرى الحق فلا يكون بوقا ينعق بالباطل بل عليه أن يمحص ما يقول ويتبينه. ولعل سبب وقوع ابن حزم في هذا المزلق هو عداوته للأشعرية هذه العداوة هي التي جعلته يخبط خبط عشواء باحثا عن الاتهامات الواهية خارجا بذلك عن طور عقله منساقا مع انفعالاته فهو يتهم الأشعرية تارة بالحمق والجهل «ومن حماقات الأشعرية»(124) وبالكفر والشرك أخرى «ان قولهم أعظم من قول النصارى وأدخل في الكفر والشرك»(125) ويقول عنهم أيضا «وهذا من أعظم الكفر» وفي موضع آخر «انما حلمهم على هذا الكفر الفاحش».

وهو تارة يجمع كل الأشعرية في أحكامه عليهم بالكفر والشرك مما يدل على غيظ وحنق دفين يعمي البصر عن تمييز الحق من الباطل وعن تحري الصواب والأمانة العلمية في نقل الأقوال واصدار الأحكام «وقالت الأشعرية كلها» وقالو كلهم «هؤلاء القوم» وطورايسدد هجماته عليهم فرادى ويصب جام غضبه على الواحد منهم بعد الآخر : «قال الأشعري شيخهم» «ومن أعظم البراهين على كفر الباقلاني وكيده للدين» «هذا المستخف الباقلاني» «هذا النذل الباقلاني» «وقال الباقلاني وابن فورك واشياعهما من أهل الضلالة والجهالة» واتهامات ابن حزم للأشعرية تصدر من منطلقين :

1 ـــ من اشاعات وأقوال أعداء الأشعرية وخصومها الذين حاربوها وحاولوا الصاق التهم بها فهو يثبت في صك اتهاماته للأشعرية شهادات باطلة ونأخذ على سبيل المثال ما أورده في كتابه الفصل «من أن أحد أخبره أن رجلا من الأشعرية قال له مشافهة : على من يقول أن الله قال : قل هو الله أحد الله الصمد ألف لعنة» فمن هو هذا الرجل ؟ وما صحة نسبته الى الأشاعرة ؟ ان هذه الصياغة يبدو فيها تلفيق وافتئات وسوء نية ويلفق ابن حزم من هذا القبيل روايات تدل بوضوح على إغراض ابن حزم أو من ينقل له وحتى إن كان العيب في الناقل فان اثبات ابن حزم لهذه الاراجيف والترهات دون تمحيصها يقوم دليلا واضحا على شطط ابن حزم ومغالاته وهاكم مثالا آخر يؤكد ذلك فابن حزم يحكي عن أحدهم أنه «رأى بعض الأشعرية يبطح المصحف برجليه» فلماذا الصياغة «بعض الأشعرية» وفي كلام آخر يقول «قال لي بعضهم» بل انه يذهب الى أكثر من هذا فيستعمل أسلوب الخطابة ليوغر صدور الغافلين ضد الأشعرية فيقول مثلا «فاعجبوا لعظيم ما حل بهؤلاء القوم من الدمار والتيار والكذب على الله عز وجل جهارا وعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا رهبة ونعوذ بالله من الضلال مع أن هذا القول ما سبقهم اليه أحد» بل يذهب أبعد من ذلك فيستعمل أسلوب الدعاية المغرضة والتشنيع المبتذل وقلب الحقائق البعيد كل البعد عن الأمانة العلمية فيقول «وقالوا كلهم ان النظر في دلائل الاسلام فرض وأنه لا يكون مسلما حتى ينظر فيها وان من شرط الناظر فيها أن يكون ولابد شاكا في الله عز وجل وفي صحة النبوة ولا يصح النظر في دلائل النبوة ودلائل التوحيد لمن يعتقد صحتها».

هكذا يتبين ان ابن حزم لم يعتمد أقوال أصحاب الشائعات من اعداء الأشعرية الذين عملوا على تلطيخ سمعتها واكتفى بذلك بل انه ساهم بدوره في اصطناع أحداث وتلفيق أقاويل فهو يقول مثلا «ولقد اخبرني بعض من كان يداخلهم وكان له فيهم سبب قوي وكان من أهل الفهم والذكاء وكان يزري في باطن أمره عليهم». فابن حزم لم يكن مروجا للاشاعات الدنيئة والدعاوي الباطلة بل انه كان يقلب الحقائق كما أشرنا سابقا ولا أدل على ذلك من قوله «ولو جمع ما يدخل عليهم لكان منه سفر ضخم»(126). هذا دليل واضح على المبالغة وعلى حنق وغيظ ابن حزم اذ لم يكتف بما ساقه بل ادعى ان هناك ما

يملأ سفرا ضخما من أمثال ما اتهم به الأشاعرة. وهذا خروج سافر عن نزاهة العالم وعن الأمانة العلمية وهو أدخل في الدعاية والتشنيع.

2 ــ والمنطلق الثاني الذي صدر عنه ابن حزم في موقفه هذا هو نظرته الظاهرية لأقوال الأشاعرة فكان يحمل اقوالهم على غير معناها الذي قصدوه ويعمد الى تشويه أقوالهم وبترها من سياقها بالوقوف عند «ويل للمصلين» ومن أمثلة ذلك قوله : «وقالوا كلهم : من قال ان النار تحرق او تلفح أو ان الأرض تهتز أو تنبت شيئا أو أن الخمر تسكر أو أن الخبز يشبع أوان الماء يروي أو أن الله تعالى ينبت الزرع والشجر بالماء فقد الحد وافترى. وقال الباقلاني من آخر السفر الرابع من كتابه المعروف بالانتصار في القرآن نحن ننكر فعل النار للتسخين والاحراق وننكر فعل الثلج للتبريد وفعل الطعام للشبع والري والخمر للاسكار كل هذا عندنا باطل ننكره أشد الانكار وكذلك فعل الحجر لجذب شيء أورده أو حبسه او اطلاقه من حديد أو غيره. هذا نص كلامه.

(قال أبو محمد) : وهذا تكذيب منهم لله عز وجل اذ يقول : ﴿ تلفح وجوههم النار ﴾[127] ولقوله تعالى : ﴿ وانزلنا من السماء ماء مباركا فانبتنا به جنات وحب الحصيد﴾[128] وقوله تعالى : ﴿انا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه انعامهم وأنفسهم ﴾[129] وقوله تعالى : ﴿ فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وانبتت من كل زوج بهيج ﴾[130] وقد صككت بهذا وجه بعض مقدميهم في المناظرة فدهش وبلد. وهو ايضا تكذيب لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ يقول «كل مسكر حرام»[131] وكل شراب أسكر حرام[132]. مع مخالفتهم لكل لغة ولكل ذي حس من مسلم وكافر ومكابرة العيان وابطال المشاهدة ثم أظرف شيء احتجاجهم في هذه الطامة بان الله عز وجل هو الذي خلقه كله.

فقلنا لهم أو ليس فعل كل حي مختار واختياره خلقا لله عز وجل فلابد من قولهم نعم فيقال لهم فمن أين نسبتم الفعل الى الاحياء وهي خلق الله ومنعتم من نسبة الفعل الى الجمادات لأنه خلق الله تعالى ولا فرق، ولكنهم قوم لا يعقلون»[133]

والغريب في الأمر حقا أن هذه المآخذ التي كانت لابن حزم على الأشعري

يؤاخذ بها امام آخر من أئمة الأشعرية بعد قرنين[134] وكأن التاريخ يعيد نفسه وكأن الامتحان يتكرر بحذافيره. فلنترك ابن السبكي يحكي لنا ذلك «ذكر البحث عما كان بين سلطان العلماء والملك الأشرف موسى بن الملك العادل بن أيوب... ذكر الشيخ الامام شرف الدين عبد اللطيف ولد الشيخ فيما صنفه من أخبار والده في هذه الواقعة... فلما أخذ السلطان في الميل الى الشيخ عز الدين دست هذه الطائفة إليه وقالوا «إنه أشعري العقيدة يخطيء من يعتقد الحرف والصوت ويبدعه ومن جملة اعتقاده انه يقول بقول الأشعري ان الخبز لا يشبع والماء لا يروي والنار لا تحرق» فاستهال ذلك السلطان واستعظمه ونسبهم الى التعصب عليه فكتبوا فتيا في مسألة الكلام وأوصلوها مريدين ان يكتب عليها بذلك فيسقط موضعه عند السلطان. وكان الشيخ قد اتصل به ذلك كله فلما جاءته الفتيا قال : هذه الفتيا كتبت امتحانا لي، والله لا كتبت فيها الا ما هو الحق فكتب العقيدة المشهورة»[135]

وكما يقال «عند الامتحان يعز المرء أو يهان» فقد كان من افضال هذا الامتحان على المسلمين عموما أن انضاف الى تراث الأشاعرة صياغة جديدة لعقيدتهم هذا بالاضافة الى أن صاحبها خرج من الامتحان معززا مكرما ولنقتطف من عقيدة عز الدين بن عبد السلام ما يعنينا هنا وهو الرد على ما اتهمه به معاصرون من حشوية وهو تماما وبالحرف ما اتهم به قبلهم ابن حزم الأشاعرة. قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام «والعجب انهم يذمون الأشعري بقوله ان الخبز لا يشبع والماء لا يروي والنار لا تحرق... وهذا كلام انزل الله معناه في كتابه فان الشبع والري والاحراق حوادث انفرد الرب بخلقها فلم يخلق الخبز الشبع ولم يخلق الماء الري ولم تخلق النار الاحراق، وان كانت اسبابا في ذلك فالخالق هو المسبب دون السبب كما قال تعالى ﴿ وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى ﴾[136] نفى أن يكون رسوله خالقا للرمي وان كان سببا فيه. وقد قال تعالى ﴿ وأنه هو اضحك وابكى وانه هو أمات واحيا ﴾[137] فاقتطع الاضحاك والابكاء والاماتة والاحياء عن أسبابها وأضافها اليه فكذلك اقتطع الأشعري رحمه الله الشبع والري والاحراق عن أسبابهاواضافها الى خالقها لقوله تعالى ﴿ خالق كل شيء ﴾[138] وقوله ﴿ هل من خالق غير الله ﴾[139] وقوله ﴿ بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما ياتهم تأويله ﴾[140] وقوله تعالى ﴿ أكذبتم بآياتي ولم

تحيطوا بها علما اما اذا كنتم تعملون ﴾[141] يقول الشاعر :

وكم من عائب قولا صحيحا وآفته من الفهم السقيم[142]

فسبحان من رضي عن قوم فادناهم وسخط على آخرين فاقصاهم ﴿ لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ﴾[143].

ونسوق هنا رد أبي بكر بن العربي علي ابن حزم وموقفه منه ومن نزعته الظاهرية حيث يقول «هي أمة سخيفة (يعني الظاهرية) تسورت على مرتبة ليست لها وتكلمت بكلام لم تفهمه تلقفوه من اخوانهم الخوارج حيث يقول «لا حكم الا لله» وكان أول بدعة لقيتها في رحلتي القول بالباطن فلما عدت وجدت القول بالظاهر قد ملأ المغرب سخيف كان من بادية اشبيلية نشأ وتعلق بمذهب الشافعي ثم انتسب الى دواد ثم خلع الكل واستقل بنفسه وزعم أنه إمام الأمة ينسب الى دين الله ماليس فيه ويقول عن العلماء ما لم يقولوا»[144]

وقبل ان نختم الحديث عن موقف ابن حزم العدائي من الأشعرية نسوق نماذج لبعض القضايا مما انتقده ابن حزم عليهم :

فمنها القول بالجزء الذي لا يتجزأ : «قال أبو محمد : ذهب جمهور المتكلمين الى أن الأجسام تنحل الى أجزاء صغار لا يمكن البتة ان يكون لا جزء وان تلك الأجزاء جواهر لا أجسام لها وذهب النظام وكل من يحسن القول من الأوائل الى أنه لا جزء وإن دق الا وهو يحتمل التجزيىء ابدا بلا نهاية وانه ليس في العالم جزء لا يتجزأ وأي جزء انقسم الجسم اليه فهو جسم ايضا وإن دق أبدا.

قال أبو محمد : وعمدة القائلين بوجود الجزء الذي لايتجزأ خمس مشاغب وكلها راجعة بحول الله وقوته عليهم ونحن ان شاء الله تعالى نذكرها كلها وتتقضى لهم كل ماموهوا به ونرى بعون الله عز وجل بطلان جميعها بالبراهين الضرورية ثم نرى بالبراهين الصحاح صحة القول بأن كل جزء فهو يتجزأ أبدا وأنه ليس في العالم جزء لا يتجزأ أصلا»[145] ثم يسوق الادلة لتأكيد ذلك.

ومنها الكلام في الأحوال. قال أبو محمد : وأما الأحوال التي دعتها الأشعرية

فانهم قالوا ان ها هنا أحوالا ليست حقا ولا باطلا ولا هي مخلوقة ولا غير مخلوقة ولا هي موجودة ولا معدومة ولا هي معلومة ولا هي مجهولة ولا هي أشياء، وقالوا من هذا علم العالم بأن له علما ووجوده لوجوده، وقالوا فان قلتم ان لكم علما بأن لكم علما بالباري تعالى وبما تعلمونه وان لكم وجودا لوجودكم ما تجدونه سألناكم ألكم علم بعلمكم بأن لكم علما وهل لكم وجود لوجودكم ما تجدونه فان أقررتم بذلك لزمكم ان تسلسلوا هذا أبدا الى مالا نهاية له ودخلتم في قول أصحاب معمر والدهرية وان منعتم من ذلك سئلتم عن صحة الدليل على صحة منعكم ما منعتم من ذلك وصحة ايجابكم ما أوجبتم من ذلك... قال ابو محمد والكلام في هذا أبين من أن يشكل على عامي فكيف على فهم فكيف على عالم والحمد لله ــ ونحن نتكلم على هذا ان شاء الله عز وجل كلاما ظاهرا لائحا لا يخفى على ذي حس سليم وبالله تعالى نتأيد فنقول وبالله تعالى التوفيق أما العدم فانه من صفات الزمان ومن فيه تقول ملك أقدم من ملك وزمان أقدم من زمان وشيخ أقدم من شيخ اي أنه متقدم بزمانه عليه والزمان متقدم بذاته على الزمان ليس في العالم قدم قديم الازماني هذا هو حكم اللغة التي لا يوجد فيها غيره أصلا فالقدم هو التقدم والتقدم متقدم بنفسه على غيره فقط لأن القدم موجود معلوم وهي صفة المتقدم فلا يجوز إنكاره واما قدم القديم فباطل لأنه لم يأت به نص ولا قام بوجوده دليل وما كان هكذا فهو باطل وأما وجود الموجود فبضرورة الحس ان الموجود حق وإنه يقتضي واجدا وان الواجد يقتضي وجودا لما وحد هو فعل الواحد وصفته فهو حق لما ذكرنا ووجود الواجد يوجد بذاته لا بوجود هو غيره لأن وجود الوجود لم يأت به نص ولا برهان وماكان هكذا فهو باطل. واما الباري عز وجل فانه يجد نفسه ويعلمها ويجد ما دونه ويعلمه بذاته لا بوجود هو غيره ولا بعلم هو غيره فقط.(146)

وكذلك العالم منا يقتضي علما ولابد هو فعل العالم وصفته المحمولة فيه عرضا بقين ويزيد ويذهب ويثبت أطوارا. هذا ما لاشك فيه والعالم منا يعلم أنه يحمل علما بعلمه ذلك لا بعلم هو غير علمه لأن العلم بالعلم لم يوجب وجوده نص ولا برهان وما كان هكذا فهو باطل، وكذلك الباقي مثاله بلا شك والبقاء هو اتصال وجوده مدة بعد مدة. وهذا معنى صحيح لا يجوز ان ينكره عاقل. فهذا وجه البيان فيما خفي عليهم حتى أتوا فيه بهذا التخليط والحمد لله

رب العالمين»[147]، والمتتبع لباقي انتقادات ابن حزم للأشاعرة خصوصا ولعلماء الكلام عموما يلاحظ أنه متردد في مواقفه كما أشرنا سابقا فهو يهجم احيانا هجوما عدوانيا يكتسي طابع العشوائية واحيانا يخفف من حدة هجومه ويستعمل الأسلوب الجدلي ويستعين بأدوات المنطق وان كان يوظف كل ذلك لتبرير وجهة نظره الظاهرية وللتأكيد على سلامة الموقف الذي تبناه وانطلق منه. كما يلاحظ ان ابن حزم ينحاز الى المعتزلة وينتصر لآرائهم بل ويستدل بأقوال بعضهم ضد الأشعرية وان كان يلمز المعتزلة بدورهم في مواطن اخرى بالكفر والترك كمثال على ذلك انظر (شنع المعتزلة) في كتاب الفصل المجلد 3 ج 4 ص 192 وما بعدها.

وهكذا فان ابن حزم لا يتحرج من الوقوع في التناقض أولا ينتبه الى ذلك في حالة الهجوم على اعدائه فهو يضرب بعضهم ببعض ويكرس آراء بعضهم ضد البعض.

وبعد نحو من قرنين على وفاة ابن حزم كتب عبد الواحد المراكشي في كتابه المعجب في تلخيص اخبار المغرب في نهاية ترجمته لابن حزم «وانما اوردت هذه النبذة من أخبار هذا الرجل لأنه أشهر علماء الأندلس اليوم (أي القرن السابع الهجري). وأكثرهم ذكرا في مجالس الرؤساء وعلى ألسنة العلماء وذلك لمخالفة مذهب مالك بالمغرب واستبداده بعلم الظاهر ولم يشتهر به قبله عندنا أحد ممن علمت، وقد كثر أهل مذهبه واتباعه عندنا بالأندلس اليوم»[148]

على أن هذا الذي يقوله عبد الواحد المراكشي في النصف الأول من القرن السابع للهجرة انما رشح الى عصره من ذلك التيار الفكري السياسي الضخم الذي أوجده محمد ابن تومرت في مستهل القرن السادس الهجري ونشأت بدعوته دولة دعت الى العودة الى الأصول واهمال اجتهادات الفقهاء وتفريعاتهم وكان من أمرها ان احرقت كتب المالكية ردا على ما فعله بنو عباد يوم أحرقوا مؤلفات ابن حزم وعن هذا التيار الفكري لابن تومرت وابن حزم قامت الحركة الفلسفية الكبرى في المغرب والتي يمثلها ابن باجة وابن طفيل وابن رشد. وقد كان ابن رشد امتدادا[149] «لابن حزم باعتباره أحد كبار أعداء الأشعرية بالمغرب الذين هاجموها الهجوم العنيف ونترك عبد الواحد المراكشي يحدثنا بدوره عن جهود

الموحدين لنشر مذهب ابن حزم الظاهري في محاولتهم القضاء على ما سواه من المذاهب يقول «وفي أيامه (يعني أيام أبي يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المومن) انقطع علم الفروع وخافه الفقهاء وأمر باحراق كتب المذهب المالكي بعد أن يجرد ما فيها من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن ففعل ذلك فأحرق منها جملة في سائر البلاد كمدونة سحنون وكتاب ابن يونس ونوادر ابن أبي زيد ومختصره وكتاب التهذيب للبرادعي وواضحة ابن حبيب وما جانس هذه الكتب ونحا نحوها. لقد شهدت منها وأنا يومئذ بفاس يؤتى منها بالاحمال فتوضع ويطلق فيها النار وتقدم الى الناس بترك الأشغال بعلم الرأي والخوض في شيء منه وتوعد على ذلك بالعقوبة الشديدة وأمر جماعة ممن عنده من العلماء المحدثين بجمع أحاديث من المصنفات العشرة من الصحيحين والترمذي والموطأ وسنن الدارقطني وسنن البيهقي في الصلاة وما يتعلق بها على نحو الأحاديث التي جمعها محمد بن تومرت في الطهارة فأجابوه الى ذلك وجمعوا ما أمرهم بجمعه فكان يمليه بنفسه على الناس ويأخذهم بحفظه وانتشر هذا المجموع في جميع المغرب وحفظه الناس من العوام والخاصة فكان يجعل لمن حفظه الجعل السني من الكسا والأموال وكان قصده في الجملة محو مذهب مالك وإزالته من المغرب مرة واحدة وحمل الناس على الظاهر من القرآن والحديث وهذا المقصد بعينه كان مقصد ابيه وجده إلا أنهما لم يظهراه واظهر يعقوب هذا فظهر أيام يعقوب ما خفي في أيام أبيه وجده»(150)

وهكذا فإذا كانت دعوة ابن تومرت أمشاجا معتزلية وأشعرية وظاهرية تتمحور حول فكرة الامام المعصوم الشيعية واذا كان ابن تومرت وخلفاؤه من بعده قد أخفوا نزعتهم الظاهرية وقنعوها بالمذهب المالكي وبالعقيدة الأشعرية فقد كشف أبو يعقوب بن يوسف بن عبد المومن القناع عن وجه الموحدين الحقيقي حيث حارب المذهب المالكي «وابطل الخدعة السياسية الدينية والف الاديولوجية فكرة «المهدوية» وضايق الفكر الأشعري ولم يبق الا على النزعة الظاهرية. وقد عاش في كنفه عدو من أعداء الأشعرية وهو أبو الوليد بن رشد.

(1) المالكي رياض النفوس ج 1 ص 125

(2) المالكي : رياض النفوس ص 121

(3) أبو العرب التميمي طبقات علماء افريقيا ج 2 ص 100.

(4) الدباغ معالم الايمان ج 1 ص 22

(5) أبو العرب التميمي طبقات علماء افريقيا ج 2 ص 102

(6) المالكي رياض النفوس ص 182

(7) انظر مثلا الناصري الاستقصا ج 1.

(8) الدباغ معالم الايمان ج 2 ص 202

(9) محمد بن يوسف الكندي : الولاة والقضاة ص 45

(10) أبو العرب التميمي طبقات علماء افريقيا ص 102 الدباغ معالم الايمان ج 2 ص 55

(11) حسين مؤمن مقدمة كتاب رياض النفوس ص 13

(12) الأصول هنا إشارة الى علم أصول الدين أو علم العقائد وليس المقصود أصول الفقه.

(13) ابن عساكر تبيين كذب المفتري ص 122

(14) ابن فرحون الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ج 1 ص 427 ـ 428 ـ 429 (نسخة محققة).

(15) ابن أبي زيد القيرواني : الرسالة ص 9 وما بعدها.

(16) ابن عساكر : تبيين كذب المفتري ص 122

(17) الدباغ : معالم الايمان في معرفة اهل القيروان ج 3 ص 140.

(18) ابن فرحون الديباج المذهب ص 344 ـ 345 ط 1 وعبد الله كنون النبوغ المغربي ج 1 ص 58.

(19) انظر ص 82 ـ 83 من هذا البحث.

(20) انظر الأنيس المطرب ص 122 والبيان المغرب ج 4 ص 7 ـ 8 حيث يقول الفقيه «ما مذهبكم ؟» وانظر الاستقصا ج 2 ص 5 حيث يقول الشيخ فقال له الشيخ وما ينتحلون من المذاهب ؟

(21) انظر الأنيس المطرب والبيان المغرب والاستقصا نفس المعطيات السابقة.

(22) نفس المعطيات السابقة

(23) ابن عذاري البيان المغرب ج 4 ص 7 ـ 8.

(24) الاستقصا ج 2 ص 7 «فاستصعبوا دخول أرض الصحراء وأشفقوا منها»

(25) بلد نفيس قرب اغمات انظر الاستقصا ج 2 ص 7

(26) الأنيس المطرب ص 123 الاستقصا ج 2 ص 7.

(27) ابن أبي زرع الأنيس المطرب ص 123 والاستقصا ج 2 ص 7.

(28) بن أبي زرع الانيس المطرب ص 125

(29) نفس المرجع ص 124

(30) نفس المرجع ص 125

(31) نفس المعطيات السابقة

(32) نفس المرجع ص 127

(33) ابن أبي زرع الأنيس المطرب ص 127

(34) الأنيس المطرب ص 129
(35) انظر ملخص ديانتهم ص 80 من هذه الرسالة
(36) الأنيس المطرب ص 132
(37) الأنيس المطرب ص 133
(38) ابن خلدون العبر ج 6 ص 183 والناصري الاستقصا ج 2
(39) عبد الواحد المراكشي المعجب ص 102 ــ 103
(40) الخشني طبقات علماء افريقيا ص 214
(41) يحيى لعويدي تاريخ الفلسفة في شمال افريقيا ص 212
(42) أبو حامد الغزالي احياء علوم الدين ج 1 كتاب العلم.
(43) ابن فرحون الديباج المذهب ص 281 ــ 282 ــ 283 ط 1
(44) محب الدين الخطيب تقديم كتاب العواصم من القواصم لابن العربي ص 11
(45) محب الدين الخطيب تقديم كتاب العواصم من القواصم لابن العربي ص 11
(46) المقري نفح الطيب ج 2 ص 27.
(47) المقري نفح الطيب ج 2 ص 38.
(48) سورة الأحزاب آية 44
(49) سورة التوبة آية 77
(50) محب الدين الخطيب تقديم كتاب العواصم من القواصم لابن العربي ص 19.
(51) المقري نفح الطيب ج 2 ص 33
(52) ابن العماد شذرات الذهب في اخبار من ذهب ج 4 ص 13.
(53) محب الدين الخطيب تقديم كتاب العواصم من القواصم ص 22.
(54) اخرجه البخاري في كتاب الانبياء باب قول الله تعالى « وإن يونس لمن المرسلين » من حديث عبد الله بن مسعود مرفوعا بلفظ «لا يقولن احدكم أني خير من يونس بن متى» ومن حديث ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ «ما ينبغي لعبد أن يقول إني خير من يونس بن متى» ومن حديث ابي هريرة نحوه. وأخرجه مسلم كذلك من حديث أبي هريرة وابن عباس في كتاب الفضائل باب في ذكر يونس عليه السلام وقول النبي صلى الله عليه وسلم لاينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متى».
(55) ابن فرحون الديباج المذهب ج 1 ص 481 ــ 482 تحقيق محمد الاحمدي النور
(56) هو الامام الحافظ ابو عمرو خليفة بن خياط البصري من شيوخ الامام البخاري قال عنه ابن عدي : هو صدوق مستقيم الحديث من متيقظي الرواة توفي سنة 240 هـ
(57) هو الامام الحافظ أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني (306 هـ ــ 385 هـ) قال عنه الحافظ عبد الغني بن سعيد «أحسن الناس كلاما على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة : علي بن المديني في وقته، وموسى ابن هارون القيسي في وقته والدارقطني في وقته»
(58) لم يكن القتال على الماء جديا وقد قال عمرو بن العاص يومئذ «ليس من النصف (أي الانصاف) أن نكون ريانين وهم عطاش».
(59) وكان آخر العهد بأبي موسى عندما كان واليا على الكوفة، وجاء دعاة علي يحرضون الكوفيين على لبس السلاح والالتحاق بجيش علي استعدادا لما يريدونه من قتال مع أصحاب الجمل في البصرة ثم مع انصار معاوية في الشام فكان أبو موسى يشفق على دماء المسلمين ان تسفك وينصح الناس بالكف عن ذلك وما فعلوا... فلما شبعوا من سفك الدماء واقتنعوا بأن أبا موسى كان ناصحا للمسلمين في نهيهم عن القتال طلبوا من علي ان

يكون ابو موسى هو ممثل العراق في أمر التحكيم لأن الحالة التي كان يدعو اليها هي التي فيها الصلاح.

(60) أدرج : قرية تقع بين أراضي شرقي الأردن والمملكة السعودية في الأطراف الجنوبية من بادية الشام

(61) أي عزله عليا ومعاوية وتفويضه الأمر الى كبار الصحابة.

(62) أي أنهما لم يعزلا، ولم يوليا، ولكن تركا ذلك لأعيان الصحابة

(63) هو أبو الأعور السلمي واسمه عمرو بن سفيان كان من كبار قواد جيش معاوية.

(64) أي الفلوسي راوي هذا الخبر عن الأسود بن شيبان عن عبد الله بن مضارب عن حضين

(65) الضجور : الناقة التي ترغو وتعربد عند الحلب ومعنى المثل : ان الناقة التي ترغو تحلب ما يملأ العلبة يضربونه للسيء الخلق قد يصاب منه الرفق واللين والبخيل قد يستخرج منه المال.

(66) ربذت يده بالقداح أي خفت : والربذ خفة القوائم في المشي وخفة الأصابع في العمل وفلان ذو فلتات وكثير السقط في كلامه.

(67) قال حدثنا محمد بن عبد الله بن ابراهيم ودعلج بن أحمد قالا حدثنا محمد بن أحمد بن النضر حدثنا معاوية ابن عمرو حدثنا زائدة عن عبد الله بن عمر عن ربعي.

(68) من تلاميذ عبد الله بن مسعود وأبي أيوب الانصاري وأخذ عنه الامام الشعبي وابراهيم النخعي توفي سنة 64 هـ

(69) سورة الزمر آية 46

(70) ابن العربي : العواصم من القواصم ص 172

(71) حديث متفق عليه أخرجه البخاري في كتاب المغازي وأخرجه مسلم في فضائل الصحابة.

(72) مسند الامام أحمد ج 5 : 347 ـ 366.

(73) أي حقيقة مذهب الشيعة وأعداء الصحابة

(74) يستثنون منهم بعد علي وبعض آله سلمان الفارسي وأبا ذروا لمقداد بن الأسود وعمار بن ياسر وحديفة بن اليمان وأبا الهيثم بن التيهان وسهل بن حنيف وعبادة بن الصامت وأبا أيوب الأنصاري وخزيمة بن ثابت وأبا سعيد الخدري.

(75) وهم أبو بكر وعمر وعثمان

(76) سورة النور آية 55

(77) رواه البخاري في صحيحه كتاب المغازي

(78) المرجع السابق كتاب فضائل الصحابة

(79) تمعر وجهه تغير وذهب ما كان فيه من النضارة وإشراق اللون

(80) صحيح البخاري كتاب فضائل الصحابة

(81) صحيح البخاري كتاب فضائل الصحابة باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه

(82) القليب : البئر غير المطوية

(83) الذنوب : الدلو العظيمة اذا ملئت ماء وابن أبي قحافة هو أبو بكر

(84) أي ثم عظمت فصارت كالدلو الواسعة التي تتخذ من جلد الثور

(85) أي حتى اتخذ الناس حولها مبركا لابلهم لغزارة مائها والحديث في صحيح البخاري كتاب فضائل الصحابة.

(86) نفس المرجع والمعطيات

(87) نفس المرجع والمعطيات

(88) مسند الامام احمد من حديث الزهري عن عروة بن الزبير عن عائشة (ج 6 ص 144)

(89) صحيح البخاري كتاب التعبير

(90) صحيح البخاري كتاب التعبير

(91) سورة التوبة الآية 40
(92) سورة النور الآية 55
(93) المداعسة : المطاعنة والمدافعة
(94) حديث غدير خم في الجامع الصحيح للبخاري كتاب المغازي. وفي صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة أن رسول ﴿ﷺ﴾ خرج الى تبوك واستخلف عليا فقال علي أتخلفني في الصبيان والنساء ؟ قال «ألا ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى الا أنه لا نبي بعدي» باب غزوة تبوك كتاب المغازي من الجامع الصحيح.
(95) الجامع الصحيح كتاب مواقيت الصلاة باب بدء الآذان
(96) صحيح مسلم كتاب الامارة
(97) صحيح البخاري كتاب فضائل الصحابة
(98) هو التفسير الذي ألفه ابن العربي وهو تفسير كبير رآه يوسف الحزا المغربي في القرن الثامن في خزانة امير المسلمين السلطان أبي عنان بمدينة مراكش وقال انه عد أسفاره فبلغت ثمانين سفرا.
(99) صحيح البخاري كتاب فرض الخمس عن الحدثان النصري أنه قال بينا أنا جالس في أهلي حين متع النهار، اذا رسول عمر بن الخطاب فقال أجب أمير المؤمنين فانطلقت معه... فبينا أنا جالس عنده أتاه حاجبه يرفأ فقال : هل لك في عثمان وعبد الرحمان بن عوف والزبير وسعد بن أبي وقاص يستأذنون ؟ قال نعم فاذن لهم... ثم جلس يرفأ يسيرا ثم قال هل لك في علي وعباس قال نعم فاذن لهما فدخلا فسلما فجلسا فقال عباس يا أمير المؤمنين اقض بيني وبين هذا الظالم الكاذب الآثم الجائر.
(100) صحيح البخاري كتاب فضائل الصحابة وفي كتاب الوصايا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يقتسم ورثتي دينارا، ما تركت بعد نفقة نسائي ومؤونة عاملي فهو صدقة.
(101) قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري ج 6 ص 125 «وكان الزهري يحدث به تارة فيصرح وتارة فيكني وكذلك مالك».
(102) أبو بكر بن العربي العواصم من القواصم من ص 181 — 197.
(103) وذلك لما قال ابن سلول في غزوة بني المصطلق «لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل» فأراد عمر أن يقتله فمنعه النبي صلى الله عليه وسلم وقال : لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه».
(104) أبو بكر بن العربي العواصم من القواصم ص 137 — 138.
(105) ابن فرحون : الديباج المذهب ج 2 ص 46
(106) انظر كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى
مثلا بالنسبة لأبي الحسن الأشعري ج 1 ص 189 مسألة الرؤية
وكذا ج 1 ص 202
ومثلا بالنسبة للقاضي أبي بكر الباقلاني ج 1 ص 200 مسألة الرؤية.
ومثلا بالنسبة لامام الحرمين الجويني ج 1 ص 245
وكذا ج 1 ص 373
ومثلا بالنسبة لأبي بكر بن فورك ج 1 ص 47
كذا ج 1 ص 122
كذا ج 1 ص 213
ومثلا بالنسبة للاسفرايني ج 1 ص 313
وهناك مواطن عدة في كتابه يستشهد فيها بمقالات وأدلة الأئمة الاشعرية ويتبنى مواقفهم مما يدل على عقيدته الأشعرية أكد دلالة ويرد على غيرها من المواقف كالمعتزلة والجهمية والرافضة الخ.

(107) انظر تفاصيل علاقة عياض بالموحدين في كتاب الاستقصا ج 1 ص : 126 — 127

(108) ابن فرحون الديباج المذهب ج 1 ص 48

(109) H. Laoust : Les schismes dans L'Islam, page 180.

(110) عبد الواحد المراكشي المعجب في تلخيص أخبار المغرب ص 27 — 28 — 29.

(111) لا وست H. Laoust : Les schismes dans L'Islam ; p. 181.

(112) H. Laoust : Les Schismes dans L'Islam, p. 181.

(113) هذا افتئات على الأشعري وتقويل له ما لم يقله لكون الأشعري يقول لا يتحقق الايمان بدون الإسلام، وكذا العكس فمتى توقف تحقق الايمان على وجود الاسلام الذي منه عدم المنافي لا يتأتى ان نقول لمن آمن بقلبه وأظهر الكفر بلسانه مؤمن لأنه فقد منه الاسلام الذي هو شرط لتحقق الايمان وعذر ابن حزم هنا أنه أندلسي من أقصى المغرب والأشعري بصري من المشرق والأزمنة متقاربة فلم تنقل تحقيقات مذهب الأشعري كاملة الى تلك البلاد في هذا العهد بل نقل مذهبه إجمالا مع نقل مذاهب الفرق فترى ابن حزم يقع في الأشعري ويورد عليه ماله المناص منه ولذلك قال السبكي في الطبقات ما معناه ان ابن حزم لا يحقق مذهب الأشعري. فلا يغتر الواقف على كلامه باعتراضه على الأشعري إمام أهل السنة والجماعة.

(114) ابن حزم الفصل في الأهواء والملل والنحل ج 2 ص 111

(115) ابن حزم من كتاب المحلى ج 1 ص 13.

(116) ابن حزم الفصل في الملل والأهواء والنحل ج 2 ص 116.

(117) Roger Arnaldez : Grammaire et théologie chez Ibn Hazm de Cordoue

(118) ابن حزم المحلى المجلد 1 ج 1 ص 33 : «المسألة الثانية والستون اعتقاد أن لله عز وجل عزا وعزة وجلالا واكراما ويدا ويدين وايديا ووجها وعينا وأعينا وكبرياء كل ذلك حق».

(119) I. Goldziher : Le Zahirisme; pages 145 - 146-

(120) السبكي طبقات الشافعية ج 4 ص 515.

(121) ابن حزم الفصل في الملل والأهواء والنحل مجلد 1 ص 178.

(122) ابن حزم الفصل في الملل والأهواء والنحل المجلد 8 الجزء 4 ص 178 — 179.

(123) سورة الحجرات آية 6

(124) ابن حزم الفصل المجلد 3 ج 4 ص 208

(125) ابن حزم الفصل المجلد الثالث الجزء الرابع ص 207 وما بعدها.

(126) الفصل المجلد الثالث الجزء 4 ص 220

(127) سورة المومنون آية 104

(128) سورة ق آية 9

(129) سورة السجدة آية 27

(130) سورة الحج آية 5

(131) البخاري الجامع الصحيح كتاب المغازي باب بعث أبي موسى ومعاذ الى اليمن قبل حجة الوداع.

(132) البخاري الجامع الصحيح كتاب الوضوء باب لا يجوز الوضوء بالنبيذ ولا المسكر.

(133) ابن حزم الفصل في الملل والأهواء والنحل المجلد 3 ج 4 ص 217 — 218

(134) وقع ذلك لسلطان العلماء عز الدين بن عبد السلام وقد توفي كما هو معلوم سنة 660 هـ بينما توفي ابن حزم قبله سنة 456 هـ

(135) السبكي طبقات الشافعية الكبرى ج 8 ص 218 ترجمة رقم 1183.

(136) سورة الأنفال آية 17
(137) سورة النجم آية 44
(138) سورة الأنعام آية 102
(139) سورة فاطر آية 3
(140) سورة يونس آية 39
(141) سورة النحل آية 84
(142) البيت لأبي الطيب المتنبي
(143) سورة الأنبياء آية 33.
(144) ابن العربي المعافري العواصم من القواصم ص 67 ج 2
(145) ابن حزم الفصل المجلد 3 ج 5 ص 92.
(146) نلاحظ هنا ان ابن حزم يتبنى مذهب المعتزلة سواء في قضية الذات والصفات أو في انكار وجود الجزء الذي لا يتجزأ. وقد دعم قوله واستدل عليه بقول النظام.
(147) ابن حزم الفصل في الملل والأهواء والنحل المجلد 3 ج 5 ص 49 — 50 — 51
(148) المعجب ص 29
(149) لا أعني الامتداد من حيث المذهب الفقهي، فمن المعلوم أن ابن رشد كان مالكيا بل أعني الامتداد من حيث نفس العداء للأشعرية.
(150) عبد الواحد المراكشي : المعجب ص 170 — 171.